النَّفَحاتُ الرَّبَّانيَّةُ

فِي الاسْتِغَاثَةِ بِسَيِّدِ البَرِيَّةِ

عبد الله محمد عكور

رقم الإجازة المتسلسل لدى
دائرة المطبوعات والنشر
٢٠٦٤/ ٩/ ٢٠٠٢

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٢١٤/ ٩/ ٢٠٠٢

فهرس رؤوس الموضوعات

تقديـــم فضيلة الشيخ

عبد الكريم بن حمّـاد عرابي (رحمه الله)

بِسْمِ اللهِ الرَّحـَمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيد الخلق أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين في الدنيا والآخرة، إذ هو عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الرحمة المهداة والنعمة المسداة، وهو سبب الفوز والنجاة لمن تبعه في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بُعث للناس كافة، وفي الأخرى له الشفاعة الكبرى، فلا يشفع أحد من الأنبياء ولا غيرهم إلا بعد أن يكون هو ﷺ قد أذن بها بقوله تعالى: سل تعط واشفع تشفع، فيشفع للأنبياء فيشفعوا في أممهم أولا، ثم يأتي الإذن لغيرهم ممن تقبل شفاعته، والحمد لله على ذلك .

وبعد اطلاعي على فحوى هذا الكتاب، وما يحتوي عليه من النصوص الثابتة في الكتاب والسنة، فإني رأيت فيه الدليل الكافي والبلسم الشافي للمنصف في اتباعِ الحق، وتركِ المراء واتباعِ الأهواء، والاستغاثة به ﷺ وبيانِ لعلو مقامه وبيان للرحمة الشاملة التي تشمل أمته في حياته وبعد وفاته، وشملت أيضا غير أمته بأن أمهل الله عذابهم في الدنيا، وأخَّره إلى الآخرة، بخلاف الأمم السابقة، فإن العذاب كان ينزل بهم في الدنيا عند تكذيبهم لأنبيائهم، وعدم الإيمان بهم في الدنيا قبل الآخرة .

والنبي ﷺ سبب في ذلك، وليس هو طريق الرحمة أو باب الرحمة، بل هو عينٌ لرحمة الله تعالىٰ، فهو مظهر رحمته سبحانه، كالشجرة التي هي مظهرٌ لنعمة الله، والمدح فيه هو مدحٌ لله الذي جعله كذلك، ودليلٌ علىٰ عظيم قدرة الله إيجاد رحمته، ولا بد لنيل هذه الرحمة من أسباب، وإتيان البيوت من أبوابها، فقد قال تعالىٰ: أن اشكر لي ولوالديك، وقال عليه الصلاة والسلام: من لم يشكر الخلق لم يشكر الخالق، فمن لم يؤد شكر نعمه كفرها، ومن لم يقبل بالأسباب لم يشرب من الماء الذي أنزله الله بواسطة السحاب، والرياح التي تسوقه، ولم يشرب من العيون والأنهار والبحار التي هي سبب لحفظ الماء النازل من السحاب، ولم يشرب من الآبار التي هي سبب لجمع الماء وحفظه وبقائه الشهور والأيام وربما الأعوام، فمن رام ذلك فقد طلب رحمته بلا سبب، ولم يأت البيت من الباب، وهل يقبل بذالك عاقل؟؟ وهل ينكر الواسطة إلا الجاهل!! قال ﷺ : إنما أنا قاسم والله يعطي، فمن لم يأت القاسم فمن أين يأخذ قسمته؟ فهل هناك باب أعظم من هذا الباب:

ما أنزل الرحمن أو يُنزل   من رحمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه   من كل ما يختص أو يشمل

إلا وطه المصطفى عبده   نبيه مُختاره المرسل

واسطة فيها وأصل لها   يعلم هذا كل من يعقل

فلُذ به في كل ماترتجي   فإنه المقصد والمأمل

وحـــطَّ أحـمال الرجـــا عـنده   فهـو شفيـع دائـمـا يُـقـــبل

ونـــاده إن أزمـــة أنـشــبت   أظفـارهـا واستحكم المعضل

يـا أكـرم الخلـــق علـى ربـه   ويـا خير مـن فيهم بـه يـسئل

قـد مسني الكرب وكـم مـرة   فرجت كربا بعضه يُـذهـــل

وأنت باب الله أي امـرئ أتـــاه   مـــن غـــيرك لا يـــدخــــل

فجزىٰ الله أخانا خيرا، حيث لَمْ يُبق للمنكر حجة، فالحق أبلج، والباطل لجلج، فقد برهن الدليل، وأوضح السبيل .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

خادم العلم والعلماء وخادم
طريق الشاذلية ثم العلوية ثم الهاشمية والمومنية
عبد الكريم حماد عرابي غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين آمين آمين



اللهــم

إني أسألـك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهىٰ الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم وجدك الأعلىٰ وكلماتك التامة، أن تتغمدني بما تغمدت به من جأر إليك متنصلا، وعاد باستغفارك تائبا، وتتولني بما توليت به أهلطاعتك والزلفىٰ لديك والمكانة منك، ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبكوتعدي طوري في حدودك، ومجاوزة أحكامك وإساءة الأدب بين يديك .

اللهم إني اسألـك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبـي الرحمـة، أن تفـتح لي ابـواب رحمتـك، ورأفـة تحننـك وتعطفـك، والأنـس بقربـك، ورزقـك الواسع، فإني إليك من الراغبين، وعلىٰ أعتابـك مـن الـواقفين، وأتمـم لي إنعامك أنت خير المنعمين، واغفـر لي ذنبـي والمسـلمين، وانصـرني علىٰ نفسـي والقوم الظالمين، بجاه مـن انتخبتـه مـن خلقـك واصـطفيته مـن بريتك، ووصلت طاعته بطاعتك، وموالاته بموالاتك .

يا سيدي يا رسول الله إني أتوجه بك إلىٰ الله في قبول دعائي هذا

اللهم شفعه فيّ يا كريم .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْـمنِ الرَّحيـمِ

إن خير ما حازه البيان، وجرىٰ به القلم، ونطق به اللسان: حمد الله تعالىٰ، أحمده أن أطلع في سماء الوجود شمس أنوار النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار الرسالة مظاهر تجلي الرحمة الأحمدية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحد الأحد في وحدانيته باستحقاق الجلال والجمال والكمال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الموجودات، المؤيد ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات، اللهم باسط الأرض ورافع السماوات، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأشرف تسليماتك ورأفة تحننك علىٰ الذات المحمدية واللطيفة النورانية، الذي فتحت به ما أغلق من غوامض العلوم، وختمت برسالته ما سبق من شرائع الأنبياء والمرسلين .

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا يغبطه عليه الأولون والآخرون، اللهم افسح له في مستقر فراديس جنانك، وامنحه مضاعفات الخير من فضلك، مهنئات غير مكدرات، تترىٰ غير مقطوعات، واشمل اللهم بفضلك ورحمتك أصحابه ليوث الوغىٰ وأسد الشرىٰ، وآل بيته نجوم الهدىٰ ومنارات الاقتدا .

وبعد: فهذه نفحات ربانية ومنن وهبية، تنبئ عن نبذة يسيرة من كمال وشرف سيدنا محمد ﷺ وتحقيق القول بإغاثته لمن استغاث به من الخلق، أوردتها حججاً دامعة للمعاند، وذكرى نافعة للمحب ـ إن شاء الله ـ تعالى .

ولست أول من صنف في هذا الموضوع، ولست أول من تحدث به، فقد سبقني بالكتابة كثير من العلماء جمعوا أخبار من استغاث برسول الله ﷺ منهم:

١. الإمام الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا الفرج بعد الشدة وكتابا آخر سماه: مجابي الدعاء .

٢. الإمام أبو القاسم التنوخي «الفرج بعد الشدة» .

٣. الإمام أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث القرطبي المستصرخين بالله عند نزول البلاء .

٤. الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المستغيثين بالله .

٥. أبو عبد الله محمد بن موسى المراكشي مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام .

٦. يوسف بن إسماعيل النبهاني شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق .

لكن هذا الكتاب يختلف عما سلف من المصنفات بأني لم أعتمد فيه المرائي المنامية إلا نادرا، بل أتيت بالأدلة على صحة الاستغاثة بالنبي ﷺ من الذكر الحكيم وما صح من السنة النبوية المطهرة، وأقوال العلماء وأفعالهم من عهد الصحابة إلى هذه الأيام، حتى عاد الأمر مجمعاً عليه قديماً وحديثا، ثم ناقشت آراء المانعين للاستغاثة

ورددتها، فجاء الكتاب بحمد الله مرجعاً قوياً في هذا الموضوع يرجع إليه طلبة العلم، وقد قسمته الىٰ مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة: تحتوي علىٰ مواضيع تمهيدية متعددة .

الباب الأول: شبهات المانعين ومناقشتها .

الباب الثاني: الاستغاثة في كتاب الله تعالىٰ .

الباب الثالث: الاستغاثة في السنة المطهرة .

الباب الرابع: الاستغاثة بالنبي ﷺ في البرزخ

الباب الخامس: الاستغاثة عند العلماء .

الباب السادس: مناقشات وردود .

وقد سميته: (النفحات الربانية في الاستغاثة بسيد البرية)، أسأل الله تعالىٰ أن ينفع به النفع العميم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كلمةٌ لا بدَّ منْها

لاقت مسألة الاستغاثة هذه الأيام أخذاً وردّا بين طلبة العلم، فمنهم من تلقاها بالقبول، ومنهم من نعتها بالشرك والوثنية، والمانعون لها ربما غلب عليهم تيار التعصب فلم يقبلوا بالأدلة التي أوردها الطرف الآخر، مع أن بعضها قطعي الدلالة والثبوت، ولا مجال للطعن فيها .

ومما يدل على تعصبهم لمذهبهم أنهم نعتوا من استغاث بالنبي ﷺ بالشرك والوثنية، وقولهم: من قال: يا محمد اشفع لي عند ربك فقد أشرك[1] . وممن وسموهم بالشرك من العلماء المعاصرين شيخنا: الشيخ العلامة محمد بن علوي المالكي، المدرس بالحرم المكي رحمه الله، وذلك عندما ألف كتابه «الذخائر المحمدية»، وقد انتصر له كثير من علماء المسلمين، وبينوا أن ما كتبه الشيخ العلوي مؤيد بنصوص الكتاب وصحيح السنة، لكن الطرف الآخر لم يقبل بكل هذه النصوص، ولما اشتدت ردودهم على المانعين خفت حدة لهجتهم فقالوا: هي بدعة ضلالة، وكان مما أورده المجيزون للاستغاثة حديث الضرير الذي سأورده لاحقاً ـ إن شاء الله ـ فقالوا أولا: إن الضرير لم يتوسل بالنبي ﷺ، وإنما توسل بدعائه ﷺ، ولا شك أن دعاء النبي ﷺ مقبول، فلا دلالة في هذا الحديث على الاستغاثة أو التوسل .

ولما بين الطرف الثاني أن النبي ﷺ لم يدع للأعمى، وإنما أمره بالدعاء قالوا: نعم ما تقولونه صحيح، لكن هذا في حياة النبي ﷺ لا بعد وفاته، فكان الرد عليهم أنه لا فرق في ذلك بين حياة المستغاث به أو موته، لأن المغيث حقيقة هو الله تعالى، وأن نبوة النبي ﷺ لم تنقطع بموته، فكان آخر ما قالوا: نعم إن ما تقولونه صحيح،

---

(1) سمعنا هذا في الدرس اليومي بعد صلاة المغرب من الشيخ أبي بكر الجزائري المدرس في الحرم النبوي الشريف.

لكن هذا الأمر خاص بالنبي ﷺ فقط لا غيره من الأولياء [٢] وسأبين خطأ هذا الكلام في ثنايا هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ وسننتظر ردهم فلعلهم في هذه المرة يجيزون الاستغاثة .

لقد جاء ذكر الـمدد في كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ وأثبتت الأدلة العقلية والنقلية أن لبعض المخلوقات تصرفاً في غيرها، فبات الأمر جائزاً عقلاً ومنطقاً، ولو تلمسنا الأشياء من حولنا لرأينا المدد يسـري من مخلوق لآخر حساً ومعنى، وليس مقصوراً على البشر وحدهم، فالتأثير جار نفعاً وضرا خيرا وشرا، فالله تعالى إذا أراد أن ينفع عبدا من عباده جعل لذلك سببا، حيث اقتضت حكمته تعالى في هذه الدار أن يرتب النتيجة على السبب .

أورد الدميري في حياة الحيوان عند كلامه على السلحفاة أنها (أي السلحفاة) تربي أولادها بالنظر، فهي لا أثداء لها لأنها محاطة بغلاف صلب، فإذا أرادت وضع البيض دفنته في التراب، فإذا فقست البيوض وخرجت منها صغار السلاحف وأصبحت بحاجة للغذاء يأتي دور الأم، فتقف أمامهم فيسري مدد الطعام للصغار فيشبعوا، وهكذا يبقى الحال حتى تكبر السلاحف وتستقل بنفسها .

وذكر أيضاً عند كلامه على الحية أن بعض الأفاعي تسمم بالنظر، فإذا أرادت هذه الأفاعي قصد شيء بالضر نظرت إليه فيسري مدد السم والإيذاء لهذا المخلوق

---

[٢] هذا القول سمعناه من بعض علمائهم في محطة الرسالة الفضائية أخيرا وبالتحديد في نهاية ذي الحجة من عام ١٤٢٨هـوعندما كنت بصدد إعادة طبع هذا الكتاب.

فيـتضرر لحينه، ومثل ذلك عند البشر، فكلنا يعرف العين وهي غنية عن الشـرح، ولو تفكرنا فيها حولنا لرأينا الكثير .

لذا فالـمدد موجود عقلا ونقلا، ففي الشرع ما سنورده من أدلة ـ إن شاء الله ـ وفي العقل كما رأينا من هذه الأمثلة، وكل ذلك أسباب ووسائط لمدد الله تعالى، فالله رازق عباده، والرزق لا ينزل من السماء ذهبا أو فضة في يد العبد، ولكن جعل له أسبابا، فمن سلك سبباً من هذه الأسباب، ووافق السبب قدراً حصل الرزق وإلا فلا .

ما هية الـمدد

المدد في اللغة: هو الزيادة في كل شيء، يقال: مد النهار إذا زاد ارتفاع الشمس، ومددت الدواة: زدت ماءها، ومدَّ القومَ: صارَ لهم مَدَداً بزيادة الجند، ومدَّ السراج: زاد في زيته . وسُبْحانَ الله مِدَادَ السَّماواتِ، أي عَدَدها وكَثْرَتَها . والإِمْدادُ: تأخيرُ الأَجَلِ أي زيادته، وأَن تَنْصُرَ الأَجْنادَ بِجَماعَةٍ غيرَكَ، والإِعْطاءُ، والإِغاثَةُ . قال تعالى: [كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا] {الإسراء:٢٠} أي زدناكم . وقوله تعالى﴿ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان:٢٧] ،أي يكون مدادا كالمداد الذي يكتب به، والشيء إذا مد

الشيء فكان زيادةً فيه فهو يَمُدُّه، يقول: دِجلة تَمُدُّ بئارنا وأنهارنا، والله يَمدُّنا بها، وتقول: قد أمددتك بألف[3] .

وأما في الاصطلاح: فهو ما يحتاجه الإنسان في دنياه وآخرته من جلب خير أو دفع ضر، وطلب الـمدد يسمى استغاثة، وإذا جعل العبد بينه وبين المستغاث به واسطة يسمى توسلا، وحصول النتيجة هي الـمدد .

فالتوسل والاستغاثة والتشفع بنفس المعنى، فالمتوسل هو الداعي، لكنه جعل بينه وبين المدعو واسطة قد تكون أبلغ في الإجابة، ومستغاث به لأنه استغاث الله به على ما يقصده، ومتشفع به لأنه سأل الله بجاهه، وإجابة الطلب هو الـمدد .

الـمدد بين الحقيقة والمجاز

إن ما أبغيه من إيرادي لهذه الفصول مع أنها ليست من صلب الموضوع لأقول بأن اللغة العربية تتسع لنعت المخلوقين ببعض صفات الرب تعالى، وأن ما يقع من بعض الناس من الاستغاثة والتوسل والتشفع إنما هو من باب المجاز، وإن وقعت الإجابة على يد المستغاث به إنما هو إكرام من الله تعالى لهذا العبد الذي أجاب دعوته، فإذا وردت عبارات في بعض الكتب التي تبحث في هذا الموضوع، أو على ألسنة البعض فلا نسارع بالحكم عليه بالبدعة الضلالة، أو ننعته بالشرك والوثنية، بل نحمل ما أتى من هذا القبيل محمل اللغة، وأن اللغة تتسع لهذا وأكثر .

---

[3] [المحيط في اللغة (٢ /٣٤٠) جمهرة اللغة (١ / ٣٥) الصحاح في اللغة (٢ / ١٦٢) لسان العرب (٣ / ٣٩٦) مادة مدد] .

فإذا عرفت هذا أقول: إن من مزايا اللغة العربية اشتمالها على صنوف البلاغة من بيان وبديع وغيرهما من المحسنات اللفظية، ومن هذه المحسنات المجاز بأنواعه، وهو استعمال اللفظ لغير ما يدل عليه ظاهره كقولنا: أكله الأسد، فيذهب الذهن إلى الأكل المعروف، وأما إذا قلنا: أكله الأسود، فإنما نعني به النهش واللدغ والعض، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢] ، فالأكل هنا لا يدل على المعنى الذي يبدو ظاهرا من اللفظ،وإنما نحمله على معنى الغيبة، وهو ما تسميه العرب بالمجاز وهو ما يقابل الحقيقة .

والـمُتتبع لغة العرب يراهم قد أولعوا بالمجاز، وعدُّوه من مفاخر كلامهم، لأنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة التي امتازت به لغتهم عن سائر اللغات، وقد قسم علماء اللغة المجاز إلى قسمين؛ عقلي ولغوي . فالمجاز العقلي يكون في الإسناد، أي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، وقد عرّفه علماء اللغة بأنه؛ «الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع» كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة، وبنى الوزير القصر[٤] وحتى تتضح لنا الصورة لا بد من ضرب بعض الأمثلة:

---

[٤] مفتاح العلوم للسكاكي ص (٢٠٨).

ﷺ يقال: بنى خوفو الهرم، فالفعل بنى أسند إلى غير فاعله، فإن خوفو لـم يبن الهرم وإنما بناه عماله، ولما كان خوفو هو الآمر بالبناء أسند الفعل إليه، ففي الإسناد هنا مجاز وعلاقته السببية .

ﷺ قال زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فالفعل ستبدي، أسند إلى الأيام، أي إلى غير فاعله الحقيقي، فإن الفاعل الحقيقي هو حوادث الأيام، والذي سوغ هذا الإسناد: أن المسند إليه الأيام هو زمان الفعل، فإسناد الإبداء إلى الأيام مجاز عقلي وعلاقته الزمانية .

ﷺ ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص:٥٧] ، فالحرم لا يكون آمنا، لأن الإحساس بالأمن صفة من صفات الأحياء، وإنما الحرم مأمون بمعنى يؤمن، ولهذا أسند الوصف المبني للفاعل آمن إلى ضمير المفعول، وهذا مجاز عقلي وعلاقته المفعولية .

ﷺ ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم:٦١] ، فكلمة «مأتيا» جاءت بدل كلمة «آت» فاستعمل هنا اسم المفعول مكان اسم الفاعل، أو تقول: أسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، وهذا مجاز عقلي وعلاقته الفاعلية .

ﷺ قال الشاعر مادحاً أحد الأمراء:

تكاد عطاياه يُجنُّ جنونها إذا لم يعوذها برقية طالب

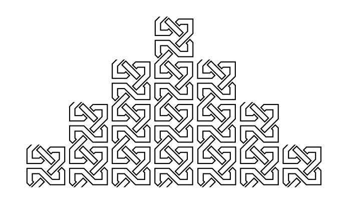
فالمجاز العقلي هو إسناد الفعل إلى مصدره وليس إلى فاعله، وذلك قوله: يُجنّ جنونها وإسناد الفعل إلى مصدره مجاز عقلي وعلاقته المصدرية .

فمن معالجة هذه الأمثلة نرى أن أفعالا أو ما يشابهها لـم تسند إلى فاعلها الحقيقي، بل أسندت إلى الفعل، أو زمانه، أو مكانه، أو مصدره، وأن صفات كان من حقها أن تُسند إلى الفاعل أُسندت إلى المفعول، وأخرى ينبغي أن تُسند إلى المفعول أُسندت الفاعل .

لذلك نقول: أن من استغاث بنبي أو ولي إنما طلب في الحقيقة من الله تعالى، لأن هذا العبد قريب من ربه، عزيز عليه، يغار الله على وليه أو نبيه أن يلتجأ أحد إلى جنابه ثم يرجع صفر اليدين، فيقضي الله حاجته، فقد ورد في الحديث قوله ﷺ بما رواه الحاكم: «يسألوني و يأبى الله لي البخل» (٥) ومناسبة الحديث وردت في العطاء الحسي، لكن قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيصدق بالعطاء الحسي والمعنوي فتحصل من هذا شيئان:

الأول: أن من قصده ﷺ بطلب أعطاه الله، لأن الله يأبى البخل لنبيه ﷺ ولا يرضى له إلا السخاء .

الثاني: أن إجابة الطلب كانت من الله تعالى، وحصولها على يد النبي هو مجاز .



(٥) المستدرك (٦٤/١) وغيره بسند جيد.

المجاز في القرآن الكريم

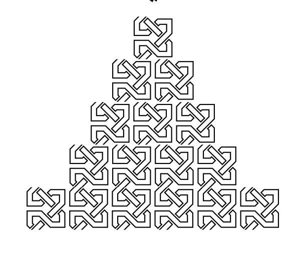
بعد هذا نجد أن القرآن الكريم الذي أعجز العرب البلغاء ببلاغته قد استعمل المجاز كثيرا، وأسند إلى العبد أفعالا لا تكون في الحقيقة إلا لله تعالى، وإسنادها إلى العبد مجاز، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾ [النساء:٥] ، فالرازق حقيقة هو الله، ولكن إسناد الرزق إلى العبد مجازا لأنه محل الفعل .

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] فقد أسند النصر إلى العبد هنا مجازا، ولكن حقيقة النصر من عند الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [الأنفال:١٠] .

﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران:٤٩] ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعا﴾ [المائدة:٣٢] ومما لا شك فيه أن إحياء النفس لله وحده، وإنما جاء إسناد الفعل هنا إلى غير فاعله الحقيقي هو مجاز .

فالعبد هنا رزق، ونصر، وخلق، وأحيا النفس البشرية، وكل ذلك من خصائص الربوبية، ولكنها أسندت إلى العبد مجازا، وهكذا يجد المتتبع لآيات القرآن آيات كثيرة أسندت الفعل إلى غير فاعله الحقيقي .



المجاز في السنة النبوية

ورد في السنة النبوية المطهرة كثير من المجازات بأنواعها،، فقد جاء أن النبي ﷺ رثى سيدنا حمزة، سيد الشهداء رضي الله عنه، بكلمات رقيقة مؤثرة، ووصفه بصفات هي من صفات الربوبية، فقد أورد الحافظ القسطلاني عن عبد الله بن مسعود قال: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف وانتحب حتى نشغ [٦] من البكاء يقول: « يا عم رسول الله، وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة فاعل الخيرات، يا حمزة كاشف الكربات . . .» [٧] فكاشف الكرب هو الله تعالى، لكن النبي ﷺ أسنده إلى سيدنا حمزة مجازا .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» [٨] فتفريج الكرب من خصائص الربوبية، وإنما أسند الفعل إلى العبد مجازا، وهذا سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي ﷺ بأبيات من الشعر منها :

يـا ركنَ معتَصمٍ وعصمةَ لائــذِ   ومـلاذَ مُـنـتجِـع وجـارَ مجـاور

---

(٦) نشغ: شهق حتى كاد يغشى عليه من شدة البكاء والحزن.

(٧) [المواهب اللدنية (٢١٢/١)] .

(٨) [صحيح مسلم - (١٣ / ٢١٢)] .

فالنبي ﷺ هو عصمة لمن اعتصم به، وملاذ لـِمن استجار به، وفي الحقيقة إنما تكون الاستجارة بالله والاعتصام به تعالىٰ، وقد سمع النبي ﷺ هذا الشعر من حسان بن ثابت، وأقره عليه، فهل ننكر بعد ذلك علىٰ من وصف النبي ﷺ ببعض صفات الربوبية؟!

الـمدد بين الكرامة والإعجاز

إن ظهور الإغاثة علىٰ يد عبد من عباد الله تعالىٰ غالباً ما يكون تكرمة من الله لهذا العبد، وقد يكون علىٰ سبيل المعجزة إن كان نبيا، أو كرامة إن كان وليا، حتىٰ يُظهر الله فضل هذا العبد، فيقع من الناس موقع الاحترام والتقدير، فإذا كان هذا أقول: إن الـمدد حقيقة هو من الله تعالىٰ خلقاً وإيجادا، وهو من العبد علىٰ سبيل الكسب والسبب، وطلب الغوث من أحد من عباد الله إنما هو في الحقيقة من الله، لأن المعطي والمانع هو الله، والعبد هو باب من أبواب الله، وقد أمرنا الله تعالىٰ أن نأتي البيوت من أبوابها، وإذا ظهر الـمدد علىٰ يد عبد فإنما يكون إعجازاً للبـشر إن كان المستغاث به نبيا، أو كرامة إن كان المستغاث به وليا .

جرت العادة أن تظهر النتيجة مقارنة للسبب، كمن يأكل فيشبع، أو يشرب فيرویٰ، أو يمر السكين فيقع الذبح، أو يوقد نارا فيقع الاشتعال، أو يركب العبد سيارة ليصل إلىٰ هدفه، فهذه نتائج ترتبت علىٰ أسباب، فالشبع متوقف علىٰ الأكل، والري متوقف علىٰ الشرب، والإحراق متوقف علىٰ النار، وهكذا، لكن إذا حصل الشبع بدون أكل يُسمىٰ هذا الأمر خرق عادة، وإذا حصل الري بدون شرب

يسمى أيضا خرق عادة، ومن وصل مكة في لحظة بدون واسطة يسمى هذا الأمر خرق عادة، فهذه الخوارق تقع على يد البشر، وقد قسمها العلماء إلى سبعة أقسام :

(المعجزة) : وهي الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد النبي، تكون مقرونة بالتحدي، بحيث يعجز الناس عن الإتيان بمثلها [9] فحقيقة الإعجاز إتيان العجز .

(الإرهاص) : وهو أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى مقدمة لمبعث نبي، وفرق بينها وبين المعجزة أنها غير مقرونة بالتحدي [10] كتظليله ﷺ الغمام قبل البعثة .

(الكرامة) : وهي الأمر الخارق للعادة يظهره الله على يد الرجل المشهور بالتقوى والصلاح من غير اقتران بالتحدي، ومن غير دعوى النبوة ولا مقدمة لها قالوا: ومن شرط الكرامة كتمانها [11] .

(الإعانة) : أو المعونة؛ وتظهر على يد عوام المؤمنين الذين لم يبلغوا درجة الولاية، تخليصاً لهم من محنة أو هلكة، عونا من الله تعالى لهم .

(الاستدراج) : وهي ما يقع لبعض الكفرة والفسقة مطابقاً لمرادهم، حتى يمعن في الكفر والضلال، وقد يموت على ذلك حتى يخلد في النار .

(الإهانة) : وهي ما يقع للكفرة والفساق غير مطابق لمرادهم إهانة من الله لهم، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين تفل في البئر ليزداد ماؤها حلاوة فأصبح ملحا أجاجا .

---

(9) انظر:{أعلام النبوة للماوردي (١ / ٢١)}.

(10) {شرح أم البراهين (ص:٥٤)}.

(11) {الاقتصاد في الاعتقاد (٦٣/١)}.

(المحنة) : وهو ما يحصل على يد من يريد إضلال الخلق كالدجال [١٢] امتحاناً من الله لعباده، والفرق بين هذه الخوارق والسحر؛ أن هذه الأمور ليس لها سبب، وإنما تقع من الله تعالى على أصناف من الناس، أما السحر والشعوذة فلها أسباب يعملها الساحر بالتعاون مع الشياطين .

لذا فإن ما يقع من إجابة طلب المستغيث بعبد من عباد الله يكون معجزة إن كانت على يد نبي، وكرامة إن كانت على يد ولي، إظهارا لكرامة هذا العبد على ربه، فقد جاء في [صحيح البخاري (٦٥٠٢)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه » بيّن الحديث الشريف أن العبد إذا أدى ما كتب الله عليه من الفرائض، ثم تقرب إليه تعالى بالنوافل، فلا بد وأن تحصل محبة الله لعبده، فإذا حصلت المحبة كان الله له سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً، فإذا طلب من الله أعطاه، وإن استعاذ من شيء أعاذه، وإن شفع في شيء شفعه، وإن سأل شيئا أعطاه .

فالمدد من هذا القبيل، فإذا استغاث العبد بهذا الولي، فإن هذا الولي يدعو ربه في قضاء حاجة هذا المستغيث يقول: يا رب إن عبدك فلان قصدني بحاجة وأنت أعلم

---

(١٢) انظر: {أم البراهين (ص: ٥٦)} .

بها مني، فأقسم عليك يا رب إلا ما أجبت سؤاله، وأعطيته حاجته، فيقع إجابة الطلب من الله على الفور، وقد يؤخر الله تعالى الطلب حسب المشيئة الإلهية، وحسب مصلحة العبد .

إنما أنا قاسم والله يعطي

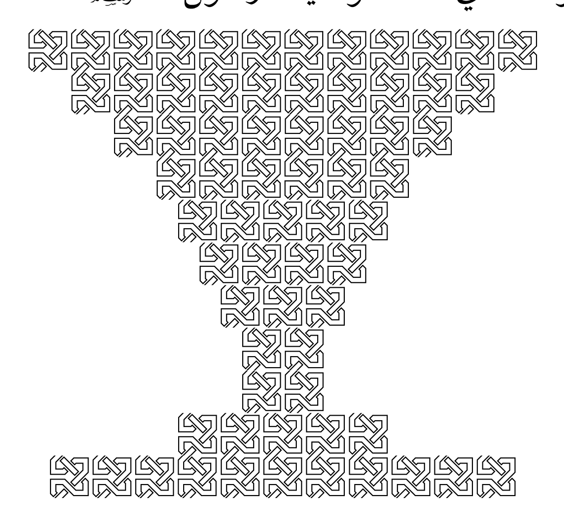
روى البخاري بسنده إلى آدم : قال رسول الله ﷺ : «إنما أنا قاسم والله يعطي» [١٣]
جاء الحديث بعدة روايات: منها في التسمية، وهي في كتاب الأدب عند البخاري، ومنها في العلم، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ومنها ما جاء في قسمة أموال الفيء، فتعدد المناسبات يفيد أن القسمة لم تَختص بشيء دون شيء، فقسمة العلم مثلا لها شاهد في البخاري عن أبي هريرة وسأذكره بعد قليل تحت عنوان (أبو هريرة يشكو النسيان) والأخلاق له شاهد بأحاديث أخر سأذكره أيضا تحت عنوان (تبديل الأخلاق) .

والشاهد في الحديث: أن العطاء من الله تعالى، وإنما يأخذ كل واحد قسمته حسب المشيئة الإلهية من طريق النبي ﷺ، فهو أمين خزائن الله يتصرف بقسمتها على عباده تعالى حسبما يأمره الله تعالى، سواء كانت هذه العطايا حسية كالفيء والغنائم والزكوات أو معنوية كزيادة النور والإيمان، أو الشفاعة أو الاستغفار، وغير ذلك مما لا يُحصى .

---

[١٣] رواه البخاري في [الصحيح (١٢٦/١) وم.سلم ٢٤١/٥)] .

وحكمة ذلك أن الـمدد الإلهي عندما يتنزل على عباده لا يقوم له شيء لقوته، فهو لا ينـزل لعبد واحدٍ، وإنّما ينـزل للخلق دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠] فجاء السياق القرآني في التحدث عن عطاء القسمين وهما: قبضة أهل اليمين، وقبضة أهل الشمال، وعطاء الله لهم يكون حسيا ومعنويا، فهذا العطاء لا يَختص به أحد دون أحد، بل يتنـزل الـمدد الإلهي لهم جميعا على رسول الله ﷺ دفعة واحدة، ومن عنده عليه الصلاة والسلام تكون القسمة، وذلك أن الله تعالى قد أمدَّ رسوله بقوة بحيث يتحمل صولة تنزل هذا الـمدد عن عباده، ولا يجيء العبد منه إلا ما يتحمله، وانظر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] وقوله تعالى﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحشر:٢١] فهذا الـمدد الذي يتنزل على عباد الله لا تقوم له الجبال الرواسي، فلا بد من واسطة في تخفيف سطوة هذا الـمدد، ليستطيع كل واحد أخذ قسمته، فكانت الواسطة في ذلك هو سيدنا رسول الله ﷺ .



الباب الأول
شبهات المانعين للاستغاثة

الشبهة الأولى: قولهم أن المستغيث بعبد إنما هو عابد له .

الشبهة الثانية: إذا سألت فاسأل الله .

الشبهة الثالثة: الاستغاثة مسألة عقدية .

الشبهة الرابعة: الاستغاثة تكون بالأحياء دون الأموات .

الشبهة الخامسة: قطع عمر لشجرة الرضوان .

يتمسك المانعون للاستغاثة بأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فسروها على وجه غير الوجه التي تدل عليه، والمتفق عليه عند جمهور العلماء، وأستطيع إجمال هذه الشبهات بخمس:

(الأولى) : قولهم: أن من استغاث بأحد من المخلوقين إنما هو في الحقيقة عابد له، والمتشفع بالنبي أو الولي جعله شريكا مع الله، وهذا هو الشرك الأكبر الذي أراده الله تعالى بقوله﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** ﴾ [الزُّمر:٣] ، وما في معنى هذه الآيات .

(الثانية) : احتجاجهم بالحديث الشريف: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) .

(الثالثة) : إن الاستغاثة هي مسألة عقدية، ومسائل العقيدة لا يؤخذ بأدلتها إلا من الكتاب وصحيح السنة .

(الرابعة) : إن ثبتت مشروعية الاستغاثة والتوسل فلا يكون إلا بالأحياء دون الأموات، لأن الأموات انقطع عملهم ونفعهم .

(الخامسة) : لو لَم يكن التوسل والاستعانة بغير الله شركا لَم يقطع عمر رضي الله عنه شجرة الرضوان .

رد الشُّبهة الأُولى

يمكن تلخيص رد هذه الشبهة بالنقاط التالية :

(١) تحديد معنى العبادة :

ليس إلى ما ذهبوا إليه دليل يعتمد عليه من أن الاستغاثة بمخلوق إنما هي عبادة له، ولا كل من طلب عونا من آخر اتخذه ربا، لأن الطلب قد يكون من الله، وقد يكون من غير الله، وليس كل طلب دعاء، ولا كل دعاء عبادة، لأن معنى العبادة يتحدد من سياق النص، وقد جاءت آيات في القرآن الكريم حددت معنى الدعاء، منها :

ﷻ قول ربنا جل شأنه: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ [النور:٦٣] فالدعاء هنا هو النداء، وليس معناه العبادة، لأن الله تعالى لَم يشرع العبادة لغيره كائنا من كان، والفيصل بين العادة والعبادة إنما هو النية، فإذا توجه بالدعاء

إلى الله على وجه القربة له يسمى عبادة، وإذا توجه بالدعاء إلى الخلق بنية الطلب يكون استغاثة، فانظر الفرق بين القضيتين .

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصِّلت:٤٩]

فالإنسان لا يعبد الخير، لكنه يطلبه، ومعنى الآية : لا يمل الإنسان من طلب الخير

فاستشهادهم بالآيات التي أوردوها باطل، لأن الدعاء قد يأتي بمعنى النداء، وقد يأتي بمعنى الطلب، وقد يأتي بمعنى العبادة، والذي يقرر ذلك شيئان :

أولهما: النية، لأن الأعمال بالنيات كما جاء في الصحيح .

وثانيهما : سياق النص، كما رأينا من الآيات السابقة .

(٢) الآيات المكية جاءت مقررة عقيدة التوحيد :

إن القرآن مكث يتنزل على قلب رسول الله ﷺ في مكة مدة ثلاثة عشر عاما، وكانت السور في هذه الفترة مقررة ثلاثة أمور:

- ترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب الناس، وضرب الأمثلة والبراهين والحجج الدامغة على إثبات وحدانية الله تعالى .
- دعوة الناس للإيمان باليوم الآخر، وأنه يوم الجزاء على الأعمال .
- تقرير مصير الناس بعد الموت، وأنه لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا الجنة الأبدية أو النار الأبدية .

فجاءت الآيات القرآنية في هذه الحقبة مقررة لعقيدة التوحيد، ومنددة على المشركين عبادتهم للأصنام، ودمغت عقولهم بأنواع البراهين الساطعة والحجج

البالغة، فلما أقام القرآن الحجة عليهم، وطلب منهم الإجابة على بعضالتساؤلات التي تحوي في أجوبتها ما أراده الله من إظهار فساد أعمالهم وعقائدهم، حادوا عن الجواب وقالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزُّمر:٣] ،وقد كذبوا في قولهم هذا، وإنما قالوها هروبا من الواقع الذي ساقهم القرآن إليه .

(٣) القياس الفاسد :

إن المانع للاستغاثة قاس عبادة المؤمن الموحد على عبادة المشرك، وهذا يعتبر في أصول الفقه قياسا فاسدا لاختلاف شروط القياس، ودليل ذلك قوله تعالى﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ** كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥] . فقد كذب الله تعالى هذه الدعوى، لأن من أقر لله تعالى بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، وأنفذ أمر الله تعالى بالأمر والنهي حسبما شرعه الله في قرآنه، وعلى لسان رسوله ﷺ لا يقاس بمن جحد ألوهية الله تعالى، واتخذ معه أربابا وآلهة، وكذَّب برسالة المرسلين، وناصبهم العداء بغيا وعدوا، فالفرق واضح بين بين القضيتين

(٤) ما بني على الفساد فهو فاسد :

ومن فساد الاستدلال بهذه الآيات كذب المشركين في دعواهم عدم عبادتهم الأصنام، وأنهم يعبدون الله تعالى وحده، وأن هذه الأصنام هي وسائط فقط، وما بُني على الفساد فهو فاسد، لأن الأصل المَقيس عليه وهو عبادة المشركين لله غير موجود، وعبادتهم الأصنام حقيقة لا دعوى، فالقرآن نص صراحة على أن المشركين عبدوا الأوثان واتخذوها أربابا من دون الله، وقصدوها بالدعاء وكشف

الكربات، والذبح والنذور، وإذا حجوا البيت ذكروا آلهتهم بالتلبية، وكانوا يغضبون لها وينتصرون لها ممن آذاها بسب أو غيره، لذلك نقموا على سيدنا محمد ﷺ لأن انتقص آلهتهم، وناصبوه العداء والحرب، ويقولون في حربهم معه: أعلُ هبل، لذلك فضح القرآن قصدهم، وأبان كذبهم في دعواهم، وقد أنزل الله تعالى قرآنا يتلى، وهو من أمهات الآيات المكية التي أنزلت في هذه الفترة، فمن ذلك قوله تعالى ناهياً المسلمين من التعرض للأصنام بالسب والشتم على مسمع المشركين فقال﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام:١٠٨] . قال الطبري: قال مشركوا قريش: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوًا بغير علم [١٤] لذا لو كانت عظمة الله تعالى في قلوبهم أكبر من أصنامهم ما سبوا الله تعالى انتقاما لأصنامهم .

(٥) دعوى الخوارج .

إن حمل المانعين للاستغاثة بناء على ما استشهدوا به من هذه الآيات التي أنزلت في حق المشركين فحملوها على المؤمنين، هي دعوى الخوارج في كل عصر، بدليل ما رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩/ ١٦) باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم: «وكان ابن عمر، يراهم شرار خلق الله، وقال: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين» .

---

(١٤) {تفسير الطبري (٣٤/١٢)].

(وخلاصة الأمر) :

إن هذه الآيات التي أوردها المنكرون لا يصح الاستدلال بها، ولا الاستناد إليها في دعواهم، ذاك لأن المشرك عبد صنما، اتخذه إلها من دون الله، وفزع إليه في الملمات، وعظمت مكانته في قلبه حتى سجد له، وحلق عنده ونذر وذبح له، وفي مقابل هذا مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، استغاث بنبيه ولَمِ يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله، ولَمِ يتخذه إلها ولا ربا، وجعله وسيلة فيما بينه وبين الله، فثم فرق واضح بين المسألتين، وبون شاسع بين الصورتين، والدليل إذا داخله الاحتمال سقط به الاستدلال .

رد الشُّبهة الثانية

وهي قوله ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعذ بالله» .

ينبغي الكلام على هذا الحديث من جهتي الإسناد والمتن .

فأما الإسناد :

قال العقيلي في [الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ٣٣٠)]: عبد الواحد بن سليم مجهول في النقل وحديثه غير محفوظ، ولا يُتَابَعُ عليه .

وقال أيضا: وقد روي هذا الكلام عن بن عباس من غير طريق أسانيدها لينة وبعضها أصلح من بعض .

قال: ونوفل هذا يحدث عنه محمد بن أمية القرشي، وهو من أهل سامرة يحدث عن محمد بنه أحمد وغيره، ويحدث محمد بن نوفل هذا بأحاديث غير محفوظة ويشبه أن يكون ضعيفا .

وقال ابن رجب الحنبلي: هذا الحديث خرَّجه الترمذيُّ من رواية حَنَشٍ الصنعاني، عن ابنِ عباس، وخرَّجه الإمامُ أحمد من حديث حنش أيضاً مع إسنادَيْن آخرين منقطعين ولم يُميز لفظ بعضها من بعض، واللفظُ الذي ذكره الشيخ رواه عبدُ بنُ حُميد في مسنده بإسناد ضعيفٍ عن عطاء، وقد روي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه وصَّىٰ ابن عباس بهذه الوصية من حديث عليٍّ بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلها ضعف [١٥] .

فالحديث ضعيف الإسناد، لا يحتج به لا في الأحكام ولا في العقائد، وهم يقولون: إن الاستغاثة هي مسألة عقدية، وما دام أنها عقدية، فقد أجمع العلماء علىٰ أنه لا يؤخذ في جانب العقيدة إلا بما هو قطعي الدلالة والثبوت، وبالتالي سقط الاستدل به إسنادا .

وأمـا الـمتن :

فلا حجة فيه علىٰ تحريم الاستغاثة، لأن الحديث جاء في سؤال الناس إلحافا، وهذا ما أجمع عليه شراح الحديث، قال ابن عبد البر في [التمهيد (٤/ ١١٠)] : قال

(١٥) [جامع العلوم والحكم (٢٠ / ٤)].

رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

قال أبو عمر : وما زال ذوو الهمم والأخطار من الرجال يتنزهون عن السؤال، ولقد أحسن أبو الفضل أحمد بن المعذل بن غيلان العبدي الفقيه المالكي حيث يقول :

التمس الأرزاق عند الذي ما دونه أن سيل من حاجب

من يبغض التارك عن سؤله جودا ومن يرضى عن الطالب

ومن إذا قال جرى قوله بغير توقيع إلى كاتب

وفي [الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٤/ ٣٣)] سأله عن المسألة مرارًا فقال في الثالثة: فإن كنت لابد سائلا فاسأل الصالحين ، وإذا ثبت سؤال بعض الناس فلا شك أن بعضه ممنوع، من حيث أن يكون السائل غنيًّا لا حاجة به إلى ما سأل، ويُظهر الحاجة وهو في الباطن بخلافها، أو يخبر السائل عن أمر هو فيه كاذب .

وفي السنة ما يشهد باعتبار ظاهر الحال في هذا وهو ما ثبت أن رجلا من أهل الصفة مات وترك دينارين فقال النبي ﷺ : كيَّتان (أي من النار)، وإنما كان ذلك -والله أعلم- لأنهم كانوا فقراء مجردين، يُتصدق عليهم ويأخذون بناء على الفقر والعدم وظهر معه هذان الديناران على خلاف ظاهر حاله .

قال الشيخ تقي الدين : والمنقول عن مذهب الشافعي جواز السؤال .

قلت: وكذا قال الشيخ عز الدين في أماليه : إنه الصحيح من مذهب الشافعي . وبه قال كثيرون، لأنه طلب مباح فوجب أن يجوز . انتهى كلام ابن الملقن في الإعلام . وهو أيضا في في[فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٨)] .

قال الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ في [شرح الأربعين النووية (٤٤/ ٢)] :

طلب المسألة، والاستعانة: طلب العون، وكل منهما ينقسم إلى قسمين:

سؤال للمخلوق فيما يقدر عليه، واستعانة بالمخلوق على ما في قدرته، وسؤال بما لا يقدر عليه إلا الله، واستعانة على أمر لا يعين عليه إلا الله، فيقولون: لا مانع أن تسأل العبد بما يقدر عليه، فتقول مثلاً: أعطني قلمك، ففي قدرته أن يمد ويعطي، مع أن تقدير الله سابق على هذا، ويمكن أن يقول لك: لا، ما أعطيك، لكنك سألته بما في قدرته، أو تقول: أعطني ريالاً، أو أقرضني عشرة ريالات، يقولون: يجوز إن كان في مقدور المخلوق الذي تسأله أو تستعين به، ومثاله أيضاً أن تقول: أعني على حمل متاعي، كما جاء في الحديث: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو تحمل له عليها متاعه صدقة»، وقال الله: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ [المائدة:٢] فإذا كان سؤال العبد للعبد فيما بيده ويقدر عليه؛ فهذا من المشروع، ولكن سؤال العبد للعبد بما لا يقدر عليه، ولا يملك عطاءه؛ فهذا هو الممنوع، وقد يصل إلى حد الشرك بالله؛ لأنك تعطي المخلوق من القدرة والمكانة ما ليس من حقه، بل هو من حق الله سبحانه وتعالى . اهـ

قلت: إن الاستشهاد بهذا الحديث بمنع الاستغاثة باطل، لتعارضه مع نصوص أخر من الكتاب والسنة نصت صراحة على جواز الاستغاثة بغير الله، فمن ذلك قوله تعالى على لسان ذي القرنين: **[فَأَعِينُونِي بِقُوَّة]** فهذه آية قطعية الدلالة والثبوت، نصت على أن عبدا استغاث بعبد مثله، لذا يعتبر الحديث شاذ المتن، ضعيف الإسناد . وإذا قلنا بثبوت الحديث نقول: إنه لا بد لهذه المسألة من تفصيل؛

إن هذا الحديث مع ضعف إسناده فإنه لا يدل على منع الاستغاثة، فهو مقرر لمسائل منها : مسألة السؤال، والتوكل، القضاء والقدر، وأن الله هو النافع وهو الضار، وهو الذي بيده مقاليد الأمور وحده، لَمْ يجعل تدبير خلقه لأحد غيره، وأنَّ مدارَ هذه الوصية على هذا الأصل، فإنَّ العبد إذا علم أنَّه لن يُصيبَه إلا ما كتبَ الله له، مِنْ خير وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ، وأنَّ اجتهادَ الخلق كلِّهم على خلاف المقدور غيرُ مفيد البتة، علم حينئذٍ أنَّ الله وحده هو الضَّارُّ النَّافعُ المعطي المانع، فأوجبَ ذلك للعبدِ توحيدَ ربِّه عز وجل، وإفرادَه بالطاعة وحفظَ حدوده فإنَّ المعبود إنَّما يقصد بعبادته جلبَ المنافع ودفع المضار، فمن علم أنَّه لا ينفعُ ولا يضرُّ ولا يُعطي ولا يمنعُ غيرُ الله، أوجبَ له ذلك إفراده بالخوف والرجاء، والمحبة والسؤال والتضرُّع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعةِ الخلق جميعاً، وأنْ يتّقي سخطه ولو كان فيه سخطُ الخلق جميعاً، وإفراده بالاستعانة به والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدَّة وحال الرَّخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عندَ الشدائد ونسيانه في الرخاء .

إن الاستغاثة والتوسل بعباد الله الصالحين لا علاقة لها بالقضاء والقدر، ولا علاقة لها بعبادة غير الله، فإن الله أقام عبادا له لمنفعة خلقه، وبذلك رغبهم ورتب على ذلك الأجر العظيم، فقد روى الطبراني عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قال رسول الله ﷺ : «إن لله عز وجل خلقا، خلقهم لحوائج الناس، يفزع إليهم الناس في حوائجهم، أولئك الآمنون غدا من عذاب الله» [16] .

فقول النبي ﷺ : يفزع الناس إليهم هو الاستغاثة بعينها، وقد رتب الأجر العظيم على إمداد من استغاث فقال: «أولئك هم الآمنون من عذاب الله» ، فما دام أنهم آمنون من عذاب الله يوم القيامة، على لسان المعصوم ﷺ فهم غير مشركين بهذه الاستغاثة .

وروى الطبراني في [المعجم الأوسط (٨٣٥٠)] بسند فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله عند أقوام نعما، يقرها عندهم ما كانوا في حوائج الناس، ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها من عندهم إلى غيرهم» [17] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم، وحولها إلى غيرهم» [18] .

---

(16) [المعجم الكبير للطبراني (١٠ / ٤٩١) مسند الشهاب للقضاعي (٤ / ٤٦)] . قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه عبد الرحمن بن أيوب ضعفه الجمهور، وحسّن حديثه الترمذي، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(17) [المعجم الأوسط للطبراني (١٨ / ١٦٣)].

(18) [طبقات الحنابلة (١ / ٢٨)، تاريخ دمشق (٥٩ / ٢٩٥)].

وروىٰ ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقل الله تلك النعم عنهم وحولها إلىٰ غيرهم» [19] .

قال معاوية بن يحيىٰ: حدثت بهذا الحديث يزيد بن هارون فقال: لو ذهب إنسان في هذا الحديث إلىٰ خراسان لكان قليلا .

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «من أعان مسلما بكلمة، أو مشىٰ معه خطوة، حشره الله يوم القيامة مع الأنبياء والرسل، وأعطاه أجر سبعين شهيدا قتلوا في سبيل الله» .

هذا هو الهدي النبوي بالترغيب بإغاثة من استغاث به، ورتب الأجر العظيم علىٰ من مشىٰ في حاجة أخيه، أما المانعون الاستغاثة لا يريدون للخلق نفعا، ولا يريدون للعبد أن يفعل خيرا مع مسلم .

رد الشبهة الثالثة

وهي أن الاستغاثة مسألة عقدية، ومسائل العقيدة لا يقبل فيها بأدلة أقل من الصحيح .

قلت: إن علم العقيدة هو ما انعقد عليه الجنان (القلب) من الأحكام المختصة بالله تعالىٰ، ورسله واليوم الآخر، وأركانه هي أركان الإيمان التي بينها رسول الله ﷺ وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

---

[19] [تاريخ دمشق (٥٩ / ٢٩٥)].

فالقسم الأول : هو ما يجب علىٰ المكلف شرعا أن يعرفه من صفات الله تعالىٰ، وما يجوز وما يستحيل عليه .

والقسم الثاني : هو ما يجب علىٰ المكلف شرعاً أن يعرفه من صفات الأنبياء وما يجوز في حقهم وما يستحيل عليهم، والقسمان مفسران لكلمة التوحيد بشقيها: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) فالشق الأول تسمىٰ (الإلهيات) وهي جملة العقائد التي يختص بها الإله، والثانية تسمىٰ (النبوات) وهي جملة العقائد التي يختص بها الأنبياء المبلغون عن الله أحكامه .

والقسم الثالث : هو ما سمعناه من القرآن والسنة من الأمور الغيبية، التي يجب الإيمان بها ؛ كاليوم الآخر وما فيه، والجنة والنار، والقبر وما فيه من نعيم أو عذاب الخ ويسمىٰ (السمعيات) أي العقائد التي سمعنا بها وما رأيناها، وجاءت بذلك آيات كثيرة وأحاديث صحيحة، كقوله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ**﴾ [البقرة:٣] وغيرها من الآيات،) فهذه الأمور تسمىٰ علم التوحيد، أو علم الكلام .

قال في إيضاح الدليل:علم التوحيد علم يعنىٰ بمعرفة الله تعالىٰ والإيمان به، ومعرفة ما يجب له سبحانه، وما يستحيل عليه، وما يجوز، وسائر ما هو من أركان الإيمان الستة وما يلحق بها، وهو أشرف العلوم وأكرمها علىٰ الله تعالىٰ، لأن شرف العلم يتبع شرف المعلوم، لكن بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب والسنة الصحيحة، وإجماع العدول، وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية، وقواعد اللغة العربية الأصيلة، ثم قال: وأنه يجب علىٰ المكلف أن يعرف الصانع

المعبود بدلائله التي نصبها علىٰ توحيده واستحقاقه نعوت الربوبية والمقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلىٰ معرفته تعالىٰ [٢٠] .

قال العلامة محمد بن الهاشمي: وكذا يجب علىٰ المكلف معرفة الحكم الشرعي ومعرفة أقسامه ليميز بين قولهم : يجب لله كذا ويجب علىٰ المكلف كذا، أي ليميز بين الحكم العقلي وأقسامه، وبين الحكم الشرعـي وأقسامه، وكذا يجب عليه معرفة الحكم العادي وأقسامه، ليميز بين التلازم العقلي والربط العادي، بين الأسباب ومسبباتها، أي ليتضح له الفرق بين التلازم العقلي، كالتلازم بين الجرم والعرَض، فإنه عقلي لا يصح تخلفه، وبين الربط العادي بين الأسباب العادية ومسبباتها، كالربط بين الأكل والشبع فإنه عادي يصح تخلفه، فقد يوجد الأكل ولا يوجد الشبع أو العكس، لأن خطر الجهل في هذا العلم عظيم [٢١] .

لذا علمنا أن مسألة الاستغاثة لا تمت لعلم العقيدة بصلة، وأن من جعل مسألة الاستغاثة من مسائل العقيدة هو: إما جاهل، والجاهل لا يؤخذ عنه دين، وإما هو ذو علم ويقصد منه أمورا أخرىٰ يريدها، وهذا ما سأبينه .

إن أول من تكلم بهذه المسألة هو ابن تيمية، وهو من وضع قواعد هذه المسألة من خلال تقسيمه علم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام ؛ توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية، وتوحيد أسماء وصفات، وقصد ابن تيمية من وراء هذا التقسيم أموراً منها:

---

[٢٠] إيضاح الدليل (١ / ١) لابن جماعة .

[٢١] مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة ص ٢٩ وما بعدها .

١ . قصد من قوله بتوحيد الربوبية عدم التوسل بالصالحين أو الاستغاثة بهم، لأنه بنظره من توسل بصالح أو نبي أو ولي أو استغاث به فهو عابد له، والله تعالى:﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:١٨] ، وما في معنى هذه الآيات، وهذا خطأ محض، فإن المتوسل بالنبي ﷺ لا يعتبر بنظر الشرع عابداً له، لأن النبي ﷺ توسل بالصالحين من قبله، وتوسل به أصحابه، وتوسل عمر بالعباس عم النبي ﷺ وأما الاستغاثة ورد جوازها في حديث صحيح رواه سبعة عشر حافظا، وهو حديث الأعمى الذي علّمه النبي ﷺ الدعاء وفيه «اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى الله».. الحديث ففي هذا الحديث تصريح بجواز الاستغاثة والتوسل .

إن هذه المسألة هي مسألة فقهية فرعية من فروع الفقه وجزئياته، من الفقهاء من أدرجها في كتاب الحج، باب زيارة النبي ﷺ وهو من كتاب العبادات لا شأن للعقيدة به البتة .

رد الشبهة الرابعة

وهي أن الاستغاثة إن قلنا بجوازها إنما تكون بالأحياء دون الأموات، وذلك لانقطاع التكليف الشرعي، وكذا النفع والتصرف، فلو قلنا: أن الميت ينفع لنفع نفسه، كيف وقد قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . .» قالوا: ودليلنا على ذلك استسقاء عمر بالعباس .

قلت: إن عقيدتنا ـ معشر الموحدين ـ أن المُتصرف في الكون هو الله وحده، وأن ما نُسب إلىٰ العبد من ذلك إنما هو مجاز، لأن الله تعالىٰ هو الفاعل، والعبد محل الفعل، وقد أحصر الجواب علىٰ هذه الشبهة بثلاث نقاط:

(الأُولـى) :

إن نظرية انقطاع نفع الميت وتصرفه هي عقيدة يهودية بحتة، وفرق بين من قال بانقطاع عمل المَيت من العلماء وبين انقطاع نفعه، فانقطاع عمله لا يعني انقطاع نفعه، جاء في التوراة: لكل الأحياء يوجد رجاء، فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون، أما الموتىٰ فلا يعلمون شيئا، وليس لهم أجر بعد، لأن ذكرهم نُسي، ولا نصيب لهم بعدُ إلىٰ الأبد في كل ما عُمل تحت الشمس [22] فهذه العقيدة لا تختلف عما يقوله المُنكرون للاستغاثة، لا من حيث الجوهر ولا من حيث اللغة .

(الثانـية) :

إن المسلم إذا مات فقد انتقل من دار الدنيا إلىٰ دار أخرىٰ وهي البرزخ، وفي هذه الدار يقع التنعم للمسلم والعذاب للكافر، وجاء في القرآن وصحيح السنة نصوص قاطعة دلت علىٰ صحة ما نقول، فمما جاء في القرآن :

* قوله تعالىٰ علىٰ لسان سيدنا شعيب عليه السلام مخاطباً قومه بعد ما أهلكهم الله تعالىٰ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ**

(22) [العهد القديم، سفر جامعة، إصحاح (9) ص(981)].

أَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣] .وقوله على لسان سيدنا صالح عليه السلام: **﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾** [الأعراف:٧٩] ٩٣] . ففي هذا دليل على حياة هؤلاء الأموات الذين أهلكهم الله تعالى، ولو لم يكونوا أحياء لَمَ يخاطبهم أنبياؤهم بعد هلاكهم، لأن مخاطبة من لا يعقل ضرب من العبث الذي ننزه أنبياء الله عنه .

ومما جاء في صحيح السنة من هذا القبيل ما رواه البخاري أن النبي ﷺ خاطب القتلى من مشركي قريش في معركة بدر بعد أن ألقاهم في القليب فقال : «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟» فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» [٢٣] .

فهذا يدلنا على أن الكافر حي في قبره يعذب، ومثل ذا جاء أن المؤمن حي في قبره ينعم، فكما أن الكافر معذب بكفره، كذلك المؤمن حي في قبره ينعم بإيمانه بالله تعالى، فقد روى الترمذي في السنن (٢٨٩٠) عن ابن عباس، قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ضربت

---

[٢٣] [صحيح البخاري (١٢ / ٣٧٢)].

خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر» .

روى أبو نعيم عن جبير قال: « أنا والله الذي لا إله إلا هو، أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل، فلما سوينا عليه اللبِن سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معه: ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟ فقالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السَّحَر قال في دعائه: اللهم إن كنتَ أعطيتَ أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء »[٢٤] .

ومما جاء مثبتا حياة المؤمن بعد موته ما جاء في القرآن الكريم عن حياة الشهداء قوله تعالى﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران:١٧٠] .بل قد نهى الله تعالى أن نصف الشهداء بالموت فقال﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة:١٥٤] . فهذه الآيات أثبتت تصرف الشهداء في برزخهم .

روى أبو داود في السنن (٢٥٢٠) عن ابن عباس قال: قال رسول الله : «لَمَّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا

---

[٢٤] [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣١٩)] .

طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم »، قال: فأنزل الله الآيات .

قلت: ومن لطيف ما سأذكره ـ إن شاء الله ـ بعد قليل أن المراسلات في الدنيا قائمة وذلك لقضاء حوائج الناس، ومما اصطلح عليه الناس في هذا المجال هو البريد، ووظفوا موظفين من أجل هذه الخدمة، وقد تعدىٰ البريد عند المسلمين إلىٰ أن جاوز الدنيا، واتصل بريدهم في البرزخ، وأصبحت المراسلات متبادلة بين الدارين، من الدنيا إلىٰ البرزخ، ومن البرزخ إلىٰ الدنيا، وسأذكر شيئا مما جاء في هذا المراسلات وجاءت به كتب السنة، وسأقتصر من ذلك علىٰ حالتين، لأثبت من خلالهما أن الكون عامر، الدنيا عامرة بأهلها، والبرزخ عامر بأهله، ولكل أناس من سكان هاتين الدارين تصرف يليق بتلك الدار الذي يعمرها :

۞ بريد من الدنيا إلى البرزخ:

روىٰ الحافظ ابن أبي الدنيا أن رجلا من الأنصار توفيت امرأته، فرأىٰ نساء في المنام ولَم ير امرأته معهن، فسألهن عنها فقلن: إنكم قصرتم في كفنها فهي تستحي أن تخرج معنا، فأتىٰ الرجل النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : انظر إلىٰ ثقة من سبيل، فأتىٰ رجلا من الأنصار حضرته الوفاة فأخبره فقال الأنصاري: إن كان أحد يبلغ الموتىٰ

بلغته قال: فتوفي الأنصاري، فجاء بثوبين مبرورين بالزعفران، فجعلهما في كفن الأنصاري، فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران [٢٥]

۞ بريد من البرزخ إلى الدنيا :

روى البيهقي عن ثابت بن قيس رضي الله عنه، وكيف استشهد يوم اليمامة وفيه: ورأى رجل من المسلمين ثابت بن قيس رضي الله عنه في منامه فقال : إني لما قتلت بالأمس مر بي رجل من المسلمين فانتزع مني درعا نفيسة، ومنزله أقصى العسكر، وعند منزله فرس يستن في طِوَله، وقد أكفى على الدرع برمة، وجعل فوق البرمة رحلا فأت خالدا فليبعث إلى درعي فليأخذها، فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأعلمه أن عليّ من الدين كذا، ولي من المال كذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه . فأتى خالدا فبعث إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيته، ولا يعلم أن أحدا جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس رضي الله عنه [٢٦] .

قال ابن القيم في [الروح (ص:١٠٩)]: وقد تواترت الرؤيا في أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رئي النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقلتهم

---

(٢٥) [المنامات (١ / ٢٢٧).

(٢٦) [دلائل النبوة للبيهقي (٧ / ١٦٢)].

ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها فتتألم وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كأنه جليسه وعشيرة فإذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته .

قَالَ عبد الله بن عَمْرو: إن أَروَاح الْمُؤمنِينَ تتلاقى على مسيرَة يَوْم، وَمَا أرى أَحدهمَا صَاحبه قطّ، وَرَفعه بَعضهم إِلَى النَّبِي ﷺ . انتهى

حاتم الطائي يُقري أضيافَه :

وقد تعدى تصرف الأموات في القبر إلى غير المؤمنين، فمن ذلك ما أورده ابن كثير عن المحرر مولى أبي هريرة قال: مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه، فقام إليه بعضهم يقال له: أبو الخيبري، فجعل يركض قبره برجله ويقول: يا أبا جعد أقرنا . فقال له بعض أصحابه: ما تخاطب من رمة وقد بليت؟ وأجنهم الليل فناموا، فقام صاحب القول فزعا يقول: يا قوم عليكم بمطيكم، فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته يقول:

أبا الخيبري وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها

أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة قد صدت هامها

أتبغي لي الذنب عند المبيـ ـت وحولك طيئ وانعامها

وإنا لنشبع أضيافنا ونأتي الْمُطيَّ فنعتامها

قال: وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيرا، فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون، وقالوا: والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا، قال: وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم وساروا، فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا، ويقود آخر، فقال: أيكم أبو الخيبري؟ قال: أنا قال: إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك، وأمرني آن أحملك، وهذا بعير فخذه ودفعه إليه [٢٧] .

فهذا حاتم الطائي الذي كان مشهورا بكرمه في العرب، ومن كرمه المشهور أنه ذبح فرسه لضيفه عندما لم يجد ما يقوم بواجب الضيافة، أعطاه الله تعالى في قبره ما كان مشهورا به في حياته .

وكما رأينا مما مر أن رجلا كان مولعا بقراءة سورة الملك، فلما مات سمعه الصحابي يقرأها في قبره، وثابتا البناني الذي حبب الله له الصلاة في الدنيا أعطاه الله في قبره ما كان يحبه في الدنيا، فكذاك جرى كرم الله تعالى على من اتصف بصفة من صفاته سبحانه وهي الكرم، أن أعطاه ما كان يحب في الدنيا، وفي هذا إثبات تصرف الأموات في قبورهم .

حياة الأنبياء في البرزخ:

لما قلنا أن بالموت انقطاع للتكليف الشرعي، قلنا أن للأنبياء حياة أكمل من حياتهم في دار الدنيا، وذلك لعدم انشغال الروح بتدبير هذا الجسم الترابي، ولزيادة قربهم من الله بزيادة حسناتهم، وزيادة الحسنات هي من أعمال أممهم الذين آمنوا

---

[٢٧] [البداية والنهاية (٢/ ٢٧٦)].

بهم، لأن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وقد ورد في صحيح السنة مما يفيد أن الأنبياء ما زالوا أحياء في البرزخ، حياة تليق وتلك الدار، مع إثباتنا أنهم ماتوا الموتة الحسية ما خلا سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنهم ما زالوا يعبدون الله تعالى، لا عبادة تكليف وإنما عبادة تشريف، فقد جاء في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ مرّ ليلة أسري به بسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره، والصلاة عبادة لله تعالى، وبما أن التكليف الشرعي قد انقطع بالموت لقوله تعالى: قلنا إن هذه العبادة هي عبادة كعبادة الملائكة، ولا تقع العبادة إلا من شخص حي له إدراك، وله قدرة وإرادة .

وروى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : « أي واد هذا» ؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية»، ثم أتى على ثنية هرشى فقال: «أي ثنية هذه» ؟ قالوا : ثنية هرشى قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خُلبة وهو يلبي » [٢٨] .

ومما يدل على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: حديث المعراج الذي جاء من غير ما طريق صحيح، فقد روى مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء،

---

[٢٨] [صحيح مسلم (١ / ٣٩٣)، ومعنى (خُلبة) : ليف].

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بِخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففُتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بِخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه الصلاة والسلام، فإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بِخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بِخير، قال الله عز وجل: ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ [مريم:٥٧] ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه؟ ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب ودعا لي بِخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد،

قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بِخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لَم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى

موسىٰ ﷺ فأخبرته فقال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ : فقلت قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت منه» [٢٩] .

فهذا الحديث صريح في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه وإن كان بعضهم رئي في الأرض يصلي أو يلبي في الحج، فهو أيضا في السماء مع الملائكة، لأن الحكم أصبح للروح، والروح مطلقة غير مقيدة، وحكمها يختلف عن حكم الجسم، فهم بحالة أكمل مما كانوا عليه في الأرض، لَمْ يحصروا في أرض ولا في سماء، بل هم متنقلون في الملكوت الأعلىٰ، يذهبون حيث يشاءون، ولهم من التصرف ما يليق بكمالهم، وقد رأينا من هذا الحديث أن سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام كان سببا في تخفيف الصلاة عن أمتنا من خمسين إلىٰ خمس، جزاه الله عن أمتنا خير الجزاء .

ومما جاء أيضا ما رواه الترمذي في السنن (٣٤٦٢) عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ : «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها؛ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» .

قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود .

وهذا الحديث يدلنا أيضا علىٰ تصرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وحرصهم علىٰ مصلحتنا ـ معشر المسلمين ـ وهذه الوصية من أبينا إبراهيم عليه الصلاة

---

[٢٩] [صحيح مسلم (١ / ٣٨٥)، صحيح البخاري (١٢ / ٢٧٣)] . بتغيير ببعض ألفاظه وغيرهم بسند صحيح.

والسلام لا تكون إلا من إنسان حي، له إدراك وقدرة، وسمع وبصر وكلام، وهو وإن كان قبره في مدينة الخليل، لكن نبينا عليه الصلاة والسلام رآه مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، في السماء السابعة، وكلم نبينا وأوصاه بما رأينا .

حياة سيدنا مُحَمَّد ﷺ :

لما رأينا أن من انتقل إلى البرزخ من البشر أصبح في حياة أخرى تليق وتلك الدار، وأن الكفار يعذبون، وأن المؤمنين ينعمون، وأن التصرف لم ينقطع بالموت، فما كان بعضهم متصفا به في حياته أجراه الله عليه في قبره، من الصلاة وقراءة القرآن وإطعام الضيف، ولما رأينا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في البرزخ، ولهم تصرف يليق ومقامهم السامي، وأن منهم من تعدى نفعه إلى هذه الأمة مثل؛ أبينا إبراهيم وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام، ومنهم من سمعه النبي ﷺ رافعا صوته بالتلبية، قلنا إن لنبينا محمد ﷺ زيادة على هذا كله، لكونه خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وخير الخلق كلهم أجمعين، فله التصرف المطلق، وله العبادة المطلقة، وله إمداد من استغاث به، وله الحياة الكاملة التي ليست فوقها حياة، إلا أن تكون الجنة، وله التنقل في الملكوت الأعلى وفي الأرض، وأعطاه الله ما لم يعط أحدا من خلقه، وسأفصل ذلك ـ إن شاء الله ـ فأقول :

ما جاء في السنة على حياته ﷺ :

❁ روى أصحاب السنن عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ : «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ

من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ» فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت ؟ - يعني بليت - فقال: «إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[٣١] .

فقوله عليه الصلاة والسلام: «فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، يعني أنه حي في البرزخ لأن العرض لا يكون إلا على إنسان حي .

❁ روى غير واحد عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله ﷺ : «حياتي خير لكم تُحدِثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سوء استغفرت الله لكم»[٣٢] .

وهذا كالذي قبله، فأعمالنا تعرض على نبينا ﷺ في البرزخ، فما وجد في صحائفنا من حسنات يحمد الله تعالى على ما وفق أمته من الأعمال الصالحة، وما وجد فيها من سيئات استغفر لأمته، وهذه الأمور لا تكون قطعا إلا من إنسان حي له تصرف، وهذا من إمداده لأمته عليه الصلاة والسلام وهو في البرزخ .

قال الترمذي الحكيم: ولمحمد ﷺ مقام عند سدرة المنتهى، بباب الله عند الحجاب، متشمر هناك، يسأل الله لأمته في كل يوم صنف،فللمذنبين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين ولأهل الصدق وفارة الحظ[٣٣] .

---

[٣١] [مسند أحمد (٣٢ / ٣٨٩) سنن النسائي (٥ / ٢٠٨)، سنن أبي داود (٣ / ٢٣٩)، سنن ابن ماجه (٣ / ٣٨٦)، صحيح ابن خزيمة (٦ / ٣٤٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٥٧) المعجم الكبير للطبراني (١ / ٢٥٢) صحيح ابن حبان (٤ / ٣١٠) وغيرهم بسند صحيح] .

[٣٢] [بغية الحارث (١ / ٢٨٨)، مجمع الزوائد (٨ / ٣١٣)] .

[٣٣] [نوادر الأصول (ص: ٤٠٩)] .

❁ روى البيهقي عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن أمتي السلام» [34] . فهذه أحاديث صحيحة أفادت أن النبي ﷺ حي في البرزخ، له تصرف في أمته، يشفع لهم عند الله تعالى، ويستغفر للمذنبين، ويبلغه سلام أمته فيرد عليهم .

النقطة الثالثة:

وهي لا فرق بين الحياة والموت ما دام أن الله هو الفاعل:

لا فرق عندنا في الاستغاثة بين الحياة والموت، ولا شأن لحياة أو موت ما دام أن الله تعالى هو المتصرف في ملكه، ومعلوم عندنا معشر الموحدين أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، ومعنى: واحد في أفعاله: أي أن الله تعالى هو الفاعل في الوجود لا متصرف على الحقيقة إلا هو، وأن ما يبرز من أفعال العباد إنما هو خلق لله قال تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصَّفات:96] .

قال الطبري: في تأويل هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن يكون قوله (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم، والآخر أن يكون بمعنى (الذي)، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم .

---

(34) مسند أحمد (8 / 19)، سنن النسائي (5 / 51)].

قلت: يجوز تأويل هذه الآية على الوجهين الذين ذكرهما الطبري رحمه الله، وهذه الآية هي من أمهات الأدلة التي احتج بها أهل السنة على أن الله تعالى هو خالق للعبد ولفعله، ولو كانت الآية دالة على أن المقصود بقوله: وما تعملون، هي الأصنام فقط، لكان النص القرآني: والله خلقكم وما تنحتون، لأن النص جاء بهذا، والآية كانت تتحدث عن الأصنام التي كان يعبدها قوم النمرود . لذلك قال أهل السنة: إن الله خالق للعبد ولفعله، خلافا للمعتزلة القائلين: إن العبد خالق لأفعاله الاختيارية .

قال الغزالي: وذهبت المعتزلة إلى إنكار تعلق قدرة الله تعالى بأفعال العباد من الحيوانات والملائكة والجن والإنس والشياطين، وزعمت أن جميع ما يصدر منها من خلق العباد واختراعهم، لا قدرة لله تعالى عليها بنفي ولا إيجاب، فلزمتها شناعتان عظيمتان:

إحداهما: إنكار ما أطبق عليه السلف رضي الله عنهم من أنه لا خالق إلا الله، ولا مخترع سواه .

والثانية : نسبة الاختراع والخلق إلى قدرة من لا يعلم ما خلقه من الحركات، فإن الحركات التي تصدر من الإنسان وسائر الحيوان لو سئل عن عددها وتفاصيلها ومقاديرها لم يكن عنده خبر منها[٣٥] .

---

(٣٥) [الاقتصاد في الاعتقاد (٢٦/١)] .

قال الباقلاني: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها، حسنها وقبيحها خلق له تعالى، لا خالق لها غيره، فهي منه خلق وللعباد كسب، فالواحد منا إذا سمى فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء .

وقالت المعتزلة، والنجارية، والجهمية، والروافض: إن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد، وإن كل واحد منا ينشيء مـا ينشيء، ويخلق ما يفعل، وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة، ونعوذ بالله من هذا الاعتقاد وسوء المقال، والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة، وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع: الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وأدلة العقل؛

فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى، لكن أذكر منه ثلاثة تنبه اللبيب على بقيتها إن شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى﴿ **وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصَّفات:٩٦] فأخبر تعالى أنه خالق لأعمالنا على العموم، كما أخبر أنه خالق لصورنا وذواتنا على العموم، وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب .

الثاني قوله تعالى: ﴿ **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزُّمر:٦٢] ، ومعلوم أن أفعالنا مخلوقة إجماعاً، وهو تعالى قد أدخل في خلقه كل شيء مخلوق، فدل على أنه لا خالـق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى .

الثالث قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم:٤٠] ، والدلالة من هذه الآية من أوجه:

أحدها: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾، يعني ثم خلق أرزاقكم، وعند المخالف أن العبد يخلق أفعاله ورزقه، فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقاً لنا ولأرزاقنا .

الوجه الثاني من الدلالة أنه قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فكما لا يقدر أحد أن يخلق موته ولا حياته، فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه ؛ من حركة ولا سكون ولا غير ذلك [٣٦] انتهى قول الباقلاني.

(وخلاصة الأمر):

أن انقطاع نفع الميت هو فكر يهودي تسرب إلى هذه الأمة، وأن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم لهم تصرف يليق بمقامهم عند ربهم، وأنه لا فرق عند أهل السنة بين حياة النبي أو الولي المستغاث به، لأن المتصرف في الأشياء هو الله تعالى .

وأما احتجاجهم باستسقاء سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما فله تأويلات عند العلماء منها:

---

(٣٦) [الإنصاف للباقلاني (١/ ٥٦)].

❁ إن سيدنا عمر أراد من استسقائه بسيدنا العباس أن يعلـم الناس مشروعية التوسل بآل بيت النبوة .

❁ اقتداؤه بالنبي ﷺ في توقير العباس واحترامه، فقد جاء في بعض الروايات أن عمر قال: إن رسول الله ﷺ كان يرىٰ للعباس ما يرىٰ الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله واتخذوه وسيلة إلىٰ الله .

قال الحافظ القسطلاني: إن عمر كان يستسقي بالعباس متوسلا به للرحم التي بينه وبين النبي ﷺ، فأراد عمر أن يصلها بمراعاة حقه إلىٰ من أمر بصلة الأرحام، ليكون ذلك وسيلة إلىٰ رحمة الله [٣٦] .

❁ إن توسل عمر بالعباس إنما هو في الحقيقة توسل برسول الله ﷺ وقد جاء ذلك صريحا في كلام عمر والعباس، أما كلام عمر ففي البخاري عن أنس أن عمـر كـان إذا قحط الناس استسقىٰ بالعباس فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» ، قال: فيسقون» [٣٧] .

فقوله: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صريح في الذي نقول، وأكثر منه صراحة ما رواه ابن عبد البر وغيره عن أنس أن عمر كان إذا قحط الناس استسقىٰ بالعباس، وكان سبب ذلك أن الأرض أجدبت إجدابا شديدا علىٰ عهد عمر زمن الرمادة، وذلك سنة سبع عشرة للهجرة فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم قحط استسقوا بعصبة

---

(٣٦) [ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/٢٣٨)].

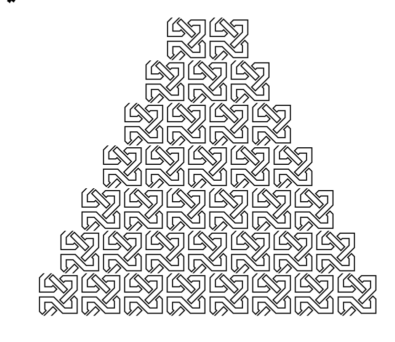
(٣٧) [صحيح البخاري (٤ / ٩٩)].

الأنبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله وصنو أبيه وسيد بني هاشم، فمشى عمر إليه وشكا إليه ما في الناس من القحط، ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ثم قال: قم يا أبا الفضل فادع .

وقال أيضا: روينا أيضا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي وخرج معه العباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبينا ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما، فصعد العباس المنبر ودعا، وكان من دعائه: اللهم إنه لَمْ ينزل بلاء إلا بذنب، ولَمْ يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لِمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث . اهـ

❁ مراعاة المصلحة ودرء المفسدة التي قد تترتب على الاستسقاء بالنبي ﷺ، فقد أراد عمر أن يتوسل بالعباس ولَمْ يتوسل بالنبي ﷺ مباشرة حتى لا يحدث في الأمة ما يزعزع إيمان بعض حديثي العهد بالإسلام فيما لو دعا وتوسل بالنبي ﷺ ولَمْ ينزل الغيث، بخلاف التوسل والاستغاثة بالعباس .

❁ بيان مشروعية الاستغاثة بالمفضول مع وجود الفاضل، فقد كان في الصحابة من هو خير من العباس ومن آل بيت النبوة وهو سيدنا علي رضي الله عنه .



الشبهة الخامسة
وهي قطع شجرة الرضوان

وهذه الشجرة هي التي تمت تحتها البيعة في الحديبية عندما ذهب ﷺ عام ستة للهجرة مع أصحابه لأداء مناسك العمرة فمنعتهم قريش، فأرسل سيدنا عثمان ليتفاوض مع مشركي قريش، ويبين لهم أنا لم نأت لحربهم، فأشيع في المسلمين أن عثمان قتل، فانحاز النبي ﷺ إلى شجرة هناك، وطلب من الصحابة أن يبايعوه على الموت، فأنزل الله في ذلك: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح:١٨] . ربما أدحض هذه الشبهة بالنقاط التالية :

(الأولى) : إن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يقطع شجرة الرضوان، بعينها، وإنما كان قطعه للشجرة التي كانوا يتبرك الناس بها، وهي شجرة من شجر الصحراء ليس لها أي قيمة دينية أو تاريخية، بدليل ما رواه البخاري بسنده إلى حزن بن أبي وهب المخزومي أنه قال: «لقد رأيت الشجرة، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها» [٣٨] .

ولأبي ذر قال: أنسيتها بعد، وعن طارق البجلي قال: انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت: ما هذا المسجد؟؟ قالوا: الشجرة حيث بايع ﷺ بيعة الرضوان،

---

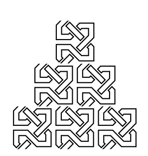
[٣٨] [صحيح البخاري (٤١٦٢) صحيح مسلم (١٨٥٩)].

فحدثت سعيد بن المسيب فقال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام القابل نسيناها فلم نقدر على تحديدها [٣٩] .

قال النووي: قال العلماء سبب خفائها أن لا يفتتن الناس بها، لِما جرى تحتها من الخير ونزول الرضوان والسكينة وغير ذلك، فلو بقيت ظاهرة معلومة لخيف تعظيم الأعراب والجهال إياها وعبادتهم لها، فكان خفاؤها رحمة من الله تعالى[٤٠] .

قلت: تبين من هذه النصوص أن سيدنا عمر رضي الله عنه لَم يقطع الشجرة التي تمت تحتها البيعة بعينها، ولكنه قطع الشجرة التي اعتاد الناس أن يتبركوا بها، ويقصدونها بالزيارة، وهي شجرة من شجر الصحراء ليست لها أي قيمة دينية أو تاريخية .

(الثانية) : إن سيدنا عمر لَم يقطع الشجرة دفعاً للتبرك، مع ما علمناه من سيرته أنه كان حريصا على تعظيم الآثار النبوية، والتبرك بها واحترامها، فقد طلب من السيدة عائشة أن يدفن بجوار صاحبيه، سيدنا رسول الله ﷺ وأبي بكر، وأنه طلب العنَزَة التي كانت عند رسول الله ﷺ من أبي بكر، ومحافظته على خاتم رسول الله ﷺ وردُّه ميزاب الكعبة الذي وضعه رسول الله ﷺ بيده، وغير ذلك، فلو كانت هي الشجرة بعينها لَم يتسن له قطعها تعظيما واحتراما للآثار النبوية .



---

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) [شرح النووي على مسلم (٦ / ٣٣٢) كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام].

الباب الثاني
الاستغاثة في كتاب الله

سأورد آيات محكمة من كتاب الله تعالى، نستنبط منها مشروعية طلب المدد، والتوسل، والاستغاثة، والتبرك، إذ هو معنى واحد بأسماء متعددة :

(الآية الأولى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٨٩] . قال المفسرون: نزلت في بني قريظة، وبني النضير، كانوا يستفتحون (يستنصرون) على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة . والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين، كما روى السدي أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة، ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي ﷺ وقالوا: اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدوّنا، فينصرون [٤١] .[قلت] : يستفاد من هذا الآية أمران:

الأول: مشروعية الاستغاثة به ﷺ قبل وجوده وفي حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

---

[٤١] [تفسير الطبري (٤١١/١)، والقرطبي (٢٦/٢)، والبغوي(٩٣/١)، والأولوسي(٣٢٠/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣٥٦/٦)].

الثاني: ترك الاستغاثة به ﷺ جحود لهذه النعمة العظمى التي امتن الله تعالى بها على هذه الأمة .

(الآية الثانية): ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة:٢٤٨] . إن التابوت كان عند بني إسرائيل، إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه، فيتكلم ويحكم بينهم، وإذا حضروا قتالا قدموه بين أيديهم يستنصرون به على عدوهم فينصرهم الله، وكان الذي في التابوت عصا موسى، وعمامة هارون، ورضاض من الألواح التي كتبت فيها التوراة، فكان يهود يعظمونه لوجود بقايا من آثار أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، ويجعلونه وسيلة فيما بينهم وبين الله تعالى لإنزال النصر، أي وكأن لسان الحال منهم يقول: اللهم إنا نعظم أنبياءك ورسلك، وهذه آثارهم نستنصر بها على عدونا فانصرنا، فينصرهم الله تعالى .

فهذه الآية دلت بمعناها على مشروعية طلب المدد من الأنبياء الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة، والتبرك بآثارهم، ولم تفرق بين حياة النبي وموته في الاستغاثة بهم .

(الآية الثالثة): ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة:٩٩] .

جاءت هذه الآية المباركة في مقام المدح لبعض قبائل الأعراب، بأنهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بإخراج زكاة أموالهم، راجين بركة دعائه عليه الصلاة والسلام، فأكد القرآن هذه الحقيقة بقوله: ﴿**وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ**﴾، والصلوات جمع صلاة وهي لغة مطلق الدعاء، فلولا أن في دعائه عليه الصلاة والسلام من الخصوصية الزائدة على دعاء غيره من البركة والإجابة، ورضوان الله تعالى، وغير ذلك من أصناف الـمدد لَمَا ذكرها الله في كتابه في معرض مدحه أقواما، فاستفدنا من هذه الآية أمرين هما:

الأول: مشروعية طلب الـمدد من النبي ﷺ .

والثاني: ترغيب الله للمؤمنين بأن يقتدوا بهؤلاء الأعراب باستمطار الـمدد منه عليه الصلاة والسلام .

(الآية الرابعة): ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:٦٤] .

قال ابن كثير: يرشد تعالى العصاة والمذنبين، إذا وقع منهم الخطأ والعصيان، أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم، ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: { لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا }، وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**

جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

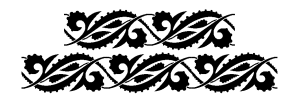
يا خيرَ من دُفِنَت بالقاع أعظُمُه   فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ

نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه   فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له [٤٢] .

قلت: إن في هذه الآية المحكمة والتي لَمْ تنسخ إرشاداً من الله تعالى لعباده المؤمنين، الذين غلبتهم أنفسهم فوقعوا في المحظور الشرعي، إذا أرادوا مغفرة الذنب، أن يقلع العبد عن المعصية ويستغفر الله تعالى، فإن كان منزله قريباً من المدينة، أو كتب الله له نصيبا بزيارة النبي ﷺ، فليجعله وسيلة بينه وبين ربه في قبول توبته، فيسلّم عليه ويطلب منه الاستغفار، كما رأينا من الأعرابي، فيكون الجواب من الله تعالى التوبة ومغفرة الذنب، وشموله بالرحمة الإلهية الواسعة .

فذكر الله تعالى مزية الذهاب إليه ﷺ، وما بها من الخير والبركات، ولو لم يكن لها مزية زائدة على الاستغفار، والتوبة في الأوطان لما ذكرها الله تعالى في قرآن يتلى على مر الدهر، ولم يكلفهم عناء هذا السفر الطويل .



---

[٤٢] [تفسير القرآن العظيم (٢ / ٣٤٨)].

(وصـــل) :

أنكر المانعون للاستغاثة قصة العتبي تعصبا منهم، وأنكروا على ابن كثير إيرادها في تفسيره، وتكلموا بما لا فائدة من إعادته، لذا سأتكلم على هذه الآية ببعض تفصيل:

❁ إن المانع للاستغاثة يلزمه الدليل لِمنع ذلك، ولا مانع عندهم إلا ما قدمته من شبهاتهم، وتبين كيف نقضتها، فهم ينفون بدون دليل، ونحن أثبتنا بدليل، فالمثبت مقدم على النافي .

❁ بعد ثبوت الحكم قلنا: إن كلمة ﴿**جَاءُوكَ**﴾ تفيد مشروعية الزيارة واستحبابها، لأن هذه الكلمة تفيد الحركة الجسمية، لذلك سن رسول الله ﷺ زيارته في المدينة ورغب فيها، ورتب على ذلك الأجر الجزيل .

❁ إن هذه الآية تفيد التعظيم والتفخيم لجناب المصطفى ﷺ لأن العظيم هو الذي يُقصَد بالزيارة من بعيد لقضاء حقه، إما لأنه عظيم، أو لقضاء الحوائج، ودليلنا على ذلك أن الآية ذكرت أولا كلمة: ﴿**جَاءُوكَ**﴾ وفيها كاف الخطاب، ثم عدلت عن ذلك إلى طريقة الالتفات، وهو قوله: ﴿**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**﴾ فلم يقل واستغفرت لهم، وما ذاك إلا تعظيما وتفخيما لشأن النبي ﷺ وتعظيما لاستغفاره، وتعليما لنا أن استغفار النبي وشفاعته، والاستغاثة به هي من الله بمكان فبادروا إليها .

(الآية الخامسة): ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [يوسف:٩٣] .

قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام مشهورة، أما الشاهد في هذه الآية : أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أرسل قميصه مع إخوته، وأمرهم بإلقائه على وجه سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال لهم: إن فعلتم ذلك سيرتد أبي بصيرا، بعد أن حجب طولُ البكاء عينيه من الإبصار، ولما ألقي القميص على وجه سيدنا يعقوب عاد له الإبصار فعلا، وهذا من أنواع المدد، وكان بإمكانه أن يدعو لوالده فيرتد بصيرا، لكن هذا تعليم إلهي لنا أن نستمطر المدد من آثار الأنبياء والصالحين، كما سرى مدد يوسف لوالده، وكلاهما نبي مرسل، فنحن أولى بالمدد منهما عليه الصلاة والسلام .

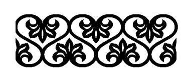
(الآية السادسة): ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة:١٢٥] .

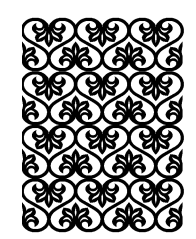
مقام إبراهيم حجر اتخذه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليقف عليه عندما أمره الله بإعادة بناء الكعبة، ولما ارتفع البنيان اتخذه موطئاً لقدميه كي يستطع وضع الحجارة في جدار الكعبة، ومن الآيات التي أخبرنا الله تعالى عنها في هذا الحجر هي موضع القدمين الشريفتين لأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث غاصت قدماه في الصخر الصلب، ولَم تزل باقية إلى يومنا هذا، رغم مرور أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وإنما أمرنا الله تعالى أن نتخذ هذا الحجر مصلى لكونه من آثار خليله

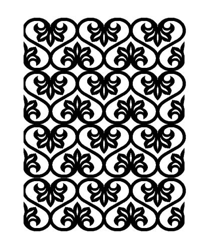
إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهو تبرك بآثاره، وموضع من مواضع العبادة، وإجابة الدعاء .

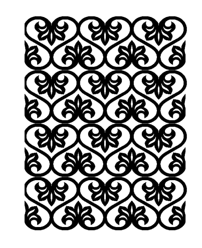
(الآية السابعة) : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ** ﴾ [البقرة:١٥٨] .

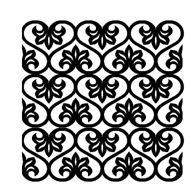
الصفا والمروة جبلان قريبان من الكعبة، ولهما في الذاكرة الإسلامية ذكر طيب مع أمنا هاجر عليها سلام الله، عندما وضعها الخليل عليه الصلاة والسلام بقرب البيت الحرام مع ابنها إسماعيل، وبعد أيام نفذ الماء منها، فأصاب وليدها العطش، فذهبت تفتش عن الماء، فارتقت الصفا لتنظر، فلم تجد الماء، ثم ذهبت إلى المروة ولما صارت في بطن الوادي تذكرت ابنها فهرولت، ثم ارتقت المروة ونظرت فلم تجد الماء، ثم عادت إلى الصفا، وهكذا كررت المشي بين الصفا والمروة سبع مرات، فأمرنا الله تعالى أن نخلد ذكر أمنا هاجر، ونحيي ذكرها الطيب، ونستذكر التاريخ الذي جعله الله من شعائره المعظمة عنده﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ** ﴾، ثم أمرنا أن نعظم شعائره: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢] . فجعل الله تعالى الطواف بين هذين الجبلين شعيرة من شعائر الإسلام الخالدة، وركنا من أركان الحج والعمرة، وجعل الهرولة بين الميلين الأخضرين سنة، اقتداء بأمنا هاجر، فهو أمر من الله تعالى بتعظيم تاريخنا العظيم، ورجالنا العظماء، ومشاهدهم التي شهدوها في حياتهم، وفي ذلك استمطار الرحمة بآثارهم ومشاهدهم .

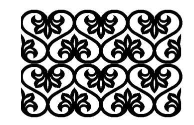














الباب الثالث

المدد في السنة النبوية

وردت أدلة كثيرة في السنة النبوية تدل على مشروعية الطلب من البشر والاستغاثة بهم، ولا فرق في ذلك بين حي وميت، أو نبي وغير نبي، وهناك حالات حصلت من الصحابة طلبوا فيها من رسول الله ﷺ أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى، وأموراً طلبها النبي ﷺ من غيره، وتعتبر استغاثة بغير الله تعالى في الاصطلاح اللغوي والشرعي، وسأورد ثلة منها في هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ تعالى، وأبدأ بالأدلة من السنة القولية :

الدليل الأول:

روى البخاري في صحيحه بسنده إلى عبد الله بن عمر (١٤٧٥) قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ » .

الدليل الثاني:

روى البيهقي عن أبي موسى قال : سألت ابن عباس أي الصدقة أفضل ؟ قال : سألت رسول الله ﷺ فقال لي: «اسق الماء ثم قال: ألَم تر إلى أهل النار إذا استغاثوا بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» [٤٣] .

---

[٤٣] المعجم الأوسط للطبراني (ج ٣ / ص ٢٢).

الدليل الثالث:

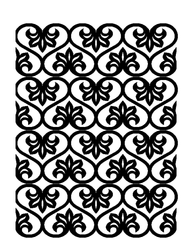
روىٰ الطبراني في الكبير (١٧: ١١٧،٢٩٠) عن عتبة بن غزوان عن نبي الله ﷺ قال: «إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم» . وقد جرب ذلك .

الدليل الرابع:

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة في الأرض سوىٰ الحفظة، يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرضٍ فلاةٍ فليناد: أعينوا عباد الله [٤٤] .

الدليل الخامس:

عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرضٍ فلاةٍ فليناد: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن لله حاصراً في الأرض سيحبسه» [٤٥] .



---

[٤٤] [مصنف ابن أبي شيبة (ج ٧ / ص ١١٦)].

[٤٥] المعجم الكبير للطبراني (ج ٩ / ص ٦٨).

الدليل السادس:

جاء في مسند احمد وغيره عن الحارث بن يزيد (٢٥/ ٣٠٧)، من حديث طويل وفيه: «أَعُوذُ بِالله، وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ ... » . ومعنى «أعوذ» أي ألتجئ وأستغيث وأستجير . وقد قرن الحارث اسم رسول الله ﷺ مع اسم الله تعالى في التعوذ والاستغاثة، وأقره النبي ﷺ على ذلك .

الأدلة من السنة الفعلية

وهذه الأدلة هي استغاثات بعض الصحابة بالنبي ﷺ وطلبهم منه أشياء، قضاها لهم رسول الله ﷺ :

أبو هريرة يشكو النسيان:

روى البخاري في [صحيحه (١:٣٥)] بسنده إلى أَبِي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثا كثيرا أُنسَّاه، قال: «ابسط رداءك» فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: «ضمه» فضممته، فما نسيت شيئا بعده» .

إن سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه شكا إلى النبي ﷺ كثرة نسيانه للحديث، فساعفه عليه الصلاة والسلام، وأمره بفعل شيء مما يشاكل الواقع في الحس، فأمره ببسط ردائه، فإن المرء إذا أراد شيئاً نشره، فحثا له ﷺ من الهواء بيديه الشريفتين حثيات، حتى وكأنه ملأ له ثوبه من شيء تراه العين، ثم أمره بضمه فضمه، حتى لا يقع شيء من الثوب شيء فيما يبدو للناظر، فجاءه الـمدد بهذه الصيغة، وأخذ أبو هريرة قسمته من عند رسول الله ﷺ فكان أكثر الصحابة رواية للحديث .

شيبة بن عثمان الحجبي :

روىٰ غير واحد عن شيبة بن عثمان الحجبي، أنه كان يحدث عن إسلامه، وما أراد الله به من الخير ويقول: ما رأيت أعجب مما كنا فيه، من لزوم ما مضىٰ عليه آباؤنا من الضلالات، يقول: لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قلت: أسير مع قريش إلىٰ هوازن بحنين، فعسىٰ إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة، فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لَمْ يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا ما تبعته أبدا، وكنت مرصدا لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، وأصلتُّ السيف، فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفي حتىٰ كدت أسوره، فرُفع لي شواظ من نار كالبرق، كاد يمحشنى[٤٦] فوضعت يدي علىٰ بصري خوفاً عليه، والتفت إليَّ رسول الله ﷺ فناداني: «يا شيبُ ادن»، فدنوت فمسح صدري ثم قال: «اللهم أعذه من الشيطان» قال: فو الله لهو كان ساعتئذ أحب إلىٰ من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله ما كان فيّ ثم قال: «ادن فقاتل» فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيا لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه في من لزمه، حتىٰ تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد، وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوىٰ عليها، فخرج في أثرهم حتىٰ تفرقوا في كل وجه، ورجع إلىٰ معسكره فدخل خباءه

---

(٤٦) أي يذهب ببصري .

فدخلت عليه ما دخل عليه غيري، حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال: «يا شيبُ، الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك» ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لَمْ أكن أذكره لأحد قط، قال: فقلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لي فقال: «غفر الله لك» [47] .

فُضالة بن عمير الليثي :

روىٰ ابن هشام قال: حدثني يعنىٰ بعض أهل العلم أن فضالة بن عمير بن الملوح يعنىٰ الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: «أفضالة» ؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك»؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: «استغفر الله» ثم وضع يده علىٰ صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتىٰ ما من خلق الله شيئ أحب إلىٰ منه [48] .

أبو محذورة الجمحي :

ذكر غير واحد أن النبي ﷺ أمر بلالا أن يؤذن، فصعد بلال علىٰ ظهر الكعبة وأذن، فصار بعض قريش يستهزئون ويحكون صوت بلال غيظاً، وكان من جملتهم أبو محذورة رضي الله عنه، وكان من أحسنهم صوتاً، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئاً سمعه رسول الله ﷺ فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول، فمسح

---

[47] [السيرة الحلبية (١٢٧/٣) الطبراني في الكبير (٢٩٨/٧) والبيهقي في الدلائل (١٤٥/٥)] .

[48] [السيرة الحلبية (١١٨/٣) السيرة النبوية لابن كثير (٥٨٤/٣) الروض الأنف فتح مكة باب ما جاء في إسلام فضالة، سيرة ابن هشام كيف اسلم فضالة] .

رسول الله ﷺ ناصيته وصدره بيده الشريفة، قال: فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً، فعلمت أنه رسول الله فأمر بلالا أن يعلمه الأذان، ثم أمره أن يؤذن لأهل مكة [٤٩]

أبـيُّ بنُ كعب :

ومن ذلك ما رواه مسلم في [صحيحه (١:٥٦١)] عن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوىٰ قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً علىٰ رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوىٰ قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففضت عرقا وكأنما أنظر إلىٰ الله عز وجل فرقا، فقال لي: «يا أبي، أُرسل إليّ أن اقرأ القرآن علىٰ حرف، فرددت إليه أن هوّن علىٰ أمتي، فرد إليّ الثانية اقرأه علىٰ حرفين، فرددت إليه أن هون علىٰ أمتي، فرد إليّ الثالثة اقرأه علىٰ سبعة أحرف، فلك بكل رَدَّةٍ رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم، حتىٰ إبراهيم ﷺ» [٥٠] .

هذه أحاديث بعضها في الصحيح، أن نفراً من قريش همُّوا بقتل النبي ﷺ فأعلم الله رسوله بذلك، فمسح علىٰ صدورهم بيده المباركة، فأبدل الله مكان الكفر إيمانا،

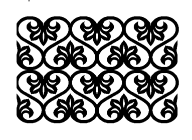
---

[٤٩] [السيرة الحلبية (١٢٧/٣) الطبراني في الكبير (٢٩٨/٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/٦) وغيرهم].

[٥٠] [صحيح مسلم (٢٥٦/٤) فضائل القرآن].

ومكان البغض للنبي ﷺ محبة تزيد علىٰ محبة النفس والولد، فكان هذا النقل مفاجئا بمسحة اليد الشريفة، ومثل ذلك حصل للصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه، حيث دخل المسجد النبوي رجل للصلاة، فسمعه أبي يقرأ القرآن في صلاته بغير القراءة التي سمعها من النبي ﷺ ، ثم دخل رجل آخر فصلىٰ بقراءة أخرىٰ أنكرها عليه، فلما قضيا الصلاة ذهب بهم إلىٰ النبي ﷺ ظنا منه أن النبي سيعاقبهما علىٰ ما غيَّرا في كتاب الله، فلما سمع منهم النبي ﷺ قال: هكذا أنزل علي، فتحركت نزغة الشيطان في نفس أبي رضي الله عنه، وحصل له من التكذيب برسالة النبي ﷺ أشد من تكذيبه في جاهليته قبل الإسلام، فلما رأىٰ النبي ﷺ ما فعل الشيطان بإيمان أبيّ، ضربه في صدره بيده الكريمة، فذهب الشيطان لحينه، وذهبت وساوسه معه، فعاد الإيمان غضاً طريا بهذة الضربة اللطيفة، وجاء المدد النبوي بغتة، بحيث أصبح كعب في حالة إيمانية وكأنه ينظر إلىٰ الله تعالىٰ، فاعترته حالة خوف من الله تعالىٰ شديدة حتىٰ تصبب منها الجسم عرقا، فلما أصبح أبي بهذه الحالة أصبح يستوعب ما يسمعه من النبي ﷺ، فأخبره عليه الصلاة والسلام حينها أن تعدد القراءات هي بطلب من النبي طلبها من ربه ليخفف عن الأمة، لأن ألسنة العرب (أي لهجاتها كثيرة) .

فهذا مدد نبوي نقل أفرادا كانوا في قمة الكفر والتكذيب إلىٰ قمة الإيمان والتصديق بمسحة يد منه عليه الصلاة والسلام علىٰ صدورهم .



أم سلمة رضي الله عنها :

واسمها هند بنت أمية، روى مسلم عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: {إنا لله وإنا إليه راجعون}، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها» .

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتا وأنا غيور، فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة» [٥١] .

وفي [مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ٣٣٨)] زيادة: «فكانت في النساء كأنها ليست منهن لا تجد ما يجدن من الغيرة» .

أم إسحاق الغنوية :

أورد الطبراني عن أم إسحاق قالت: هاجرت مع أخي إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما كنت في بعض الطريق، قال لي أخي: اقعدي يا أم إسحاق، فإني نسيت نفقتي بمكة، فقلت: إني أخشى عليك الفاسق زوجي قال: لا، إن شاء الله قال: فلبثت أياماً، فمر بي رجل قد عرفته ولا أسميه، فقال: ما يقعدك هاهنا يا أم إسحاق؟

---

[٥١] [رواه مسلم (٦٣١/٢) باب ما يقال عند المصيبة، وأحمد من مسند أم سلمة، والبيهقي في الدلائل(٤٦٤/٣)].

قلت: أنتظر إسحاق، ذهب لنفقة له بمكة، فقال: لا إسحاق لك، قد لحقه زوجك الفاسق فقتله، فقدمت، فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، قلت: يا رسول الله، قُتل إسحاق، وأنا أبكي وينظر إلي، فإذا نظرت إليه نكس في الوضوء، فأخذ كفا من ماء فنضحه في وجهي .

قال بشار: قالت جدتي: فلقد كانت تصيبنا المصيبة العظيمة، فنرىٰ الدموع علىٰ عينيها ولا تصيب خدها» [٥٢] .

امرأة ترافث الرجال :

وأخرج الطبراني في [الكبير (٨/ ٢٠٠) برقم: (٧٨١٢)] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كانت امرأة ترافث الرجال، وكانت بذيئة، فمرت بالنبي ﷺ وهو يأكل ثريدا علىٰ طريان، قالت: انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد، ويأكل كما يأكل العبد، فقال النبي ﷺ: «وأي عبد أعبد مني» .

قالت: ويأكل ولا يطعمني قال: «فكلي»، قالت: ناولني يدك، فناولها قالت: أطعمني مما في فيك فأعطاها، فأكلت، فغلبها الحياء، فلم ترافث أحداً حتىٰ ماتت .

في الخبر الأول الذي يرويه مسلم في صحيحه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ وكيف تزوجها عليه الصلاة والسلام، قالت: أنا امرأة كثيرة الغيرة فخشيت أم سلمة أنها بهذه الغيرة قد تسيء الأدب معه عليه الصلاة والسلام، والغيرة طبع في النساء، لكنها تتفاوت بين امرأة وأخرىٰ، فلما رأىٰ عليه الصلاة والسلام أدبها وأنها لَمْ

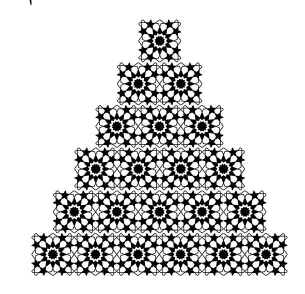
---

[٥٢] في [المعجم الأوسط (٧/ ٦١) برقم: (٦٨٥٢) (٦٨٥٢)].

ترفض الزواج تكبرا عالجها ﷺ وذاك بقوله: أما الغيرة فيذهبها الله، فلما تزوجت أصبحت في النساء وكأنها ليست منهن، حيث أنها لا تجد ما يجدن من الغيرة، فتبدلت أخلاقها نحو الأفضل، ورجح عقلها حتى كان عليه الصلاة والسلام يستشيرها ببعض الأمور المهمة، ويأخذ برأيها، كما حصل في الحديبية .

ومثل ذلك في الرواية الثانية، فقد كانت أم إسحاق كثيرة الحزن على مقتل أخيها، فلما شكت ذلك للنبي ﷺ نضح في وجهها كفا من ماء بيده المباركة، فانتقل المدد النبوي بهذه النضحة إلى أم إسحاق، فصارت لا تجد ما تجده النساء من الحزن الكبير على المصيبة، فكانت الدموع في عينيها ولا تسيل على خديها .

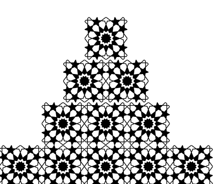
وأما الرواية الثالثة تفيد انتقال شيء من خلق الحياء الذي كان في باطنه عليه الصلاة والسلام إلى تلك المرأة، ومعلوم لدينا أنه يوجد قلة حياء في بعض النساء، ممن اعتدن الخلطة مع الرجال ومحادثتهم، وكانت هذه المرأة من هذا النوع، فقد كانت بمخالطتها للرجال قليلة الحياء، حتى أنها كانت ترافثهم،والمرافثة هي كلمة جامعة لما يريده الرجل من امرأته، وإذا وصل الأمر إلى تلك الحالة تكون في أقل درجات الحياء، إن لم تعدمه بالكلية، فلما أكلت اللقمة من فم رسول الله ﷺ انتقل إليها خلق الحياء، فصارت من أشد النساء حياء، فلم تكلم رجلا حتى ماتت .



زيادة القوة الجسمية :

روى غير واحد عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن بعض الصحابة سأله: ما اسمك؟ قال: قد سماني رسول الله ﷺ سفينة، قلت: ولم سماك سفينة ؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي رسول الله : « ابسط كساءك » فبسطته،فجعلوا فيه متاعهم، فحملوه علي، فقال رسول الله ﷺ : « احمل فإنما أنت سفينة » فلو حملت من يومئذ وقر بعير، أو بعيرين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة، أو سبعة ما ثقل علي [٥٣] .

هذه الرواية عن سيدنا سفينة رضي الله عنه، واسمه مهران وكنيته أبو عبد الرحمن، كان مولى لأم سلمة رضي الله عنها، كان في أحد الغزوات مع النبي ﷺ ومعه أصحابه، ولَم يكن لديهم من الإبل ما يكفي لحمل جميع متاعهم، فأمره النبي ﷺ ببسط كساء له، فوضع الأصحاب فيه ما زاد من متاعهم، ثم أمره بطيه بما فيه وقال: احمل ما أنت إلا سفينة، فسرى إليه مدد النبوة مع لفظة (سفينة) فأصبح اسما على مسمى، يحمل على ظهره حملا لا يستطيعه قطيع من الإبل، ودامت له تلك القوة حتى مات رضي الله عنه .



---

(٥٣) [رواه أحمد (٣٢١/٥) والبيهقي في الدلائل (٤٧/٦) والحاكم (٣٧٧/٥)]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

زينب بنت أبي سلمة :

روىٰ الطبراني في [الكبير (٢٤/ ٢٨٢)] عن زينب بنت أبي سلمة قالت: كانت أمي إذا دخل رسول الله ﷺ يغتسل يقول: «اذهبي فادخلي»، قالت: فدخلت فنضح في وجهي الماء، ثم قال: «ارجعي» قال العطاف: قالت أمي: «فرأيت وجه زينب، وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء» .

قال ابن عبد البر: دخلت زينب هذه علىٰ رسول الله ﷺ وهو يغتسل، فنضح في وجهها ماء، فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتىٰ كبرت وعجزت، وكانت من أفقه نساء زمانها .

قلت: لما تزوج النبي ﷺ السيدة أم سلمة كان لها أولاد من زوجها القديم أبي سلمة رضي الله عنه، ومن هؤلاء الأولاد زينب، كان اسمها (برة) فسماها النبي ﷺ زينب فلما انتقلت أم سلمة إلىٰ بيت رسول الله ﷺ انتقل أولادها معها، وابن المرأة يسمىٰ ربيبا لزوجها الجديد، فزينب كانت تسمىٰ ربيبة رسول الله ﷺ وحكمهم حكم الأبناء في حرمة الزواج، فهي محرمة علىٰ النبي ﷺ كبناته، فحدثت مرة أن زينب هذه كانت صغيرة دون سن التمييز، وكان النبي ﷺ يغتسل، ولَم يكن له عليه الصلاة والسلام حمام خاص كما هو حالنا اليوم، بل كان يغتسل في حجرته التي ينام فيها، وكان لكل امرأة من نسائه حجرة، فحتىٰ لا تراه زينب عاريا، أخذ كفاً من ماء ورمىٰ به وجه زينب، فدخل الماء عينيها، فأغمضت زينب عينيها حتىٰ يخرج منهما الماء، وولت من عنده ﷺ فانتقل الـمدد النبوي بهذه النضحة من الماء

إلى زينب، فضاء وجهها، وصارت من أجمل نساء الدنيا، وزيادة على ذلك كمل عقلها فصارت من أعقل نساء الدنيا، وبقي الحال إلى أن كبرت وصارت عجوزا، ولم يزل ماء الشباب ونضارته إلى أن ماتت رضي الله عنها .

المدد النبوي يردُّ بصر الأعمى :

روى غير واحد عن عثمان بن حنيف، أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي أن يعافيني فقال: «إن شئت أخرت لك وهو خير، وإن شئت دعوت» فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه في» . قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح [٥٧] .

هذا حديث صحيح الإسناد صالح للاستشهاد في هذا الباب، وهو صريح في جواز الاستغاثة، وخلاصة الحديث أن رجلا أعمى أصيب بفقد بصره، وشق عليه

---

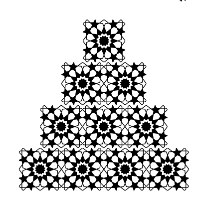
(٥٧) [رواه احمد في مسنده (١٠٩/٣٥) ابن ماجة في سننه (٢٩٦/٤) باب صلاة الحاجة وابن خزيمة في صحيحه (٤٤٦/٤) جماع أبواب التطوع، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٦/٦) والطبراني في الكبير (١٨/٩) ورواه في الصغير (١٨٣/١) وقال بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح والبيهقي في الدلائل (٢٥٢/٦) جماع أبواب دعوات نبينا ورواه عبد بن حميد في مسنده (٤٣١/١) ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٦/١) باب صلاة الحاجة قال الذهبي: صحيح ورواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذ الوجه ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة باب من اسمه عثمان والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٢) والمنذري في الترغيب والترهيب باب صلاة الحاجة وأورده ابن كثير في تفسيره(٥٧٠/١) وفي البداية والنهاية (٢٩٨/٦)].

ذلك فلم يجد بدا من الاستغاثة بسيد الوجود ﷺ فأتاه فقال: يا رسول الله لقد شق علي ذهاب بصري، وليس لي قائد يقودني إلى المسجد فأصلي معك، فادع الله أن يجلي لي عن بصري، فأراد النبي ﷺ أن يعلم الأمة درسا من خلال هذه الحادثة، وهو الاستغاثة بالنبي ﷺ وجعله وسيلة فيما بين العبد وبين ربه، فجاء الدرس النبوي لِمن سيأتي بعد من أمته عليه الصلاة والسلام من خلال هذه الحادثة، وهو أن العبد إذا أراد حاجة من حوائجه الدنيوية أو الأخروية، يتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يتقرب إلى الله بصلاة ركعتين يجعلهما مقدمة لطلبه، ثم يجعل النبي ﷺ وسيلة فيما بينه وبين ربه، فيقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، ثم يرفع صوته مستغيثا بالنبي ﷺ قائلا: يا محمد، أو يا نبي الله، أو يا رسول الله، وغير ذلك من ألقاب الرفعة التي تليق بجاهه ﷺ ثم يذكر حاجته، ثم يصلي على النبي في نهاية الدعاء، فلا بد أنه سيرى الإجابة قريبة ـ إن شاء الله ـ كما رآها الأعمى، حيث قال عثمان: فو الله ما تفرقنا من عند رسول الله ولا طال بنا الحديث، إلا وقد أتى الأعمى مبصرا، قد رد الله عليه ما فقد من بصره .

فقه الحديث :

الأول: استحباب التوسل بالنبي ﷺ في كل أمر .

الثاني: مشروعية الاستغاثة به ﷺ في الدعاء وعند الكرب .



قــالـــــوا :

ليس في هذا الحديث ما يدل على مشروعية الطلب والاستغاثة، لأن الأعمى توسل بدعاء النبي ﷺ ولا شك أن دعاء النبي ﷺ مجاب .

الجـواب :

إن الأعمى طلب الدعاء من النبي ﷺ لكن النبي ﷺ لَم يدع له، بل أمره بالدعاء هو لنفسه، وأمره أن يقول فيه دعائه:

«اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» . . .فهذا توسل صريح بالنبي ﷺ «يا محمد إني أتوجه بك إلى الله» ولا شك أن ياء النداء هنا هي استغاثة، فجاء التوسل والاستغاثة صراحة في هذا الحديث، وهو تعليم من النبي ﷺ لهذا الأعمى

شاهد لهذا الحديث :

ليس هذا الأمر مقصورا على حياته ﷺ فقط، بل هو للأمة على مر عصورها، وشاهد ذلك ما رواه غير واحد عن عثمان بن حنيف، أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجته، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، واذكر حاجتك، ثم رح إليّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب، فأخذ بيده فأدخله على عثمان،

فأجلسه معه على الطنفسة [٥٨] فقال: انظر ما كانت لك من حاجة، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إلي حتى كلمته، فقال عثمان بن حنيف: ما كلمتُه ولكني سمعت رسول الله ﷺ وجاءه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبي ﷺ : « أو تصبر ؟ »، فقال: يا رسول الله ليس لي قائد، وقد شق علي ذهاب بصري، فَقال النبِيُّ ﷺ: «إن شئت أخرت لك وهو خير، وإن شئت دعوت» فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه في» [٥٩] .

فهذا شاهد على مسروعية الاستغاثة بالنبي ﷺ، حال حياته، وبعد انتقاله، فقد كان لرجل حاجة عند الخليفة عثمان رضي الله عنه، فذهب إلى بيته مرات فلم يؤذن له، فلقي عثمان بن حنيف فشكا له ذلك، وأراد أن يجعله وسيلة بينه وبين الخليفة، لكن ابن حنيف أمره بالوضوء ثم صلاة ركعتين، ثم يدعو الله تعالى متوسلا برسوله، ثم يستغيث بالنبي ﷺ، فذهب الرجل وعمل ما أمره، ثم ذهب إلى الخليفة فوجد البواب ينتظره، فأخذ بيده وأدخله على الخليفة، وأجلسه معه على الطنفسة، وقضى حاجته وقال له: كل ما احتجت منا شيئا فائتنا نقضها لك، ثم خرج الرجل فرحا مسرورا، وذهب إلى عثمان بن حنيف ليقدم شكره له على ما

---

[٥٨] الطنفسة: هو بساط أو حصير يصنع من جريد النخل.

[٥٩] [المعجم الصغير للطبراني (٢ / ١٠٦) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٣٥٤)].

قدمه له من معروف ظنا منه أنه كلم الخليفة من أجله، فقال عثمان: والله ما كلمته فيك، ولكني أردت تعليمك درسا علمناه رسول الله ﷺ ثم ذكر له حديث الأعمى، فهذا الإكرام الذي وجدت من الخليفة إنما هو ببركات الدعاء والتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ لا بتكليمي الخليفة فيك .

أسماء تشكو الوجع :

أخرج البيهقي أن أسماء بنت أبي بكر أصابها ورم في رأسها ووجهها، وأنها بعثت إلى عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر: اذكري وجعي لرسول الله ﷺ لعل الله يشفيني، فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ وجع أسماء، فانطلق رسول الله ﷺ حتى دخل على أسماء، فوضع يده على وجهها ورأسها من فوق الثياب فقال: بسم الله، أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك، بسم الله، صنع ذلك ثلاث مرات، فأمرها أن تقول ذلك، فقالت ثلاثة أيام فذهب الورم [٦٠] .

الشاهد في الحديث:

أن أسماء استغاثت بالنبي ﷺ من وجعها، وعلمها النبي ﷺ صيغة دعاء تدعو به من جملته توسل بالنبي ﷺ: « بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك» .

حذيفة بن اليَمان :

روى مسلم في[صحيحه (٣/ ١٤١٤)] عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة:

---

[٦٠] [دلائل النبوة (١٨١/٦)،الدعاء للطبراني (ص: ٣٤٦، برقم: ١١٣٥)]..

أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟»، فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تذعرهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قررت (أي أصابني ألم البرد)، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يا نومان»[٦١].

خلاصة ما جاء في الحديث:

هذه الحادثة كانت في غزوة الأحزاب «الخندق»، وقد هبت ريح شديدة، أرسلها الله تعالى، والظلمة شديدة، والتعب قد أخذ من الصحابة كل مأخذ حيث مرت عليهم مدة شهر لا ينامون، تعبا وجوعا وقتالا وخوفا، فنادى النبي ﷺ في الصحابة: «من يأتيني بخبر القوم جعله الله معي في الجنة»، وهذه كافية بترغيب

---

[٦١] صحيح مسلم (٩ / ٢٦٦) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ١٤٨) جامع الأصول من أحاديث الرسول (٦ / ٥٥).

الصحابة بامتثال الأمر، لكن الأمر كان على الصحابة أشد مما نتخيل، ثم نادى مرة ثانية وثالثة فلم يجبه أحد، وبعدها جاء دور الأمر المباشر لأحد الجند، وكان الأمر لحذيفة بن اليمان، وما منع حذيفة أن يجيب أولا إلا شدة البرد، حيث كان يلبس خلق ثوب لزوجه لا يتجاوز الركبتين، فلما امتثل حذيفة ومشى في حاجة النبي ﷺ قال: وكأني في حَمَّام، أي من شدة الحر، وبقي هكذا حتى عاد من عند القوم، فلما وصل عاد له البرد كما كان أولا،فغطاه النبي ﷺ بفضل عباءة كان يصلي فيها، فلما أحس حذيفة بالدفء نام حتى أصبح .

الـمدد النبوي للرسل :

روى ابن أبي شيبة عن جعفر بن عمرو قال : بعث رسول الله ﷺ أربعة نفر إلى أربعة وجوه: رجلا إلى كسرى، ورجلا إلى قيصر، ورجلا إلى المقوقس، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم[٦٢] .

قلت: لما نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة:٦٧] ، أراد النبي ﷺ أن يبلغ رسالة ربه إلى الأمم، فأرسل رسائل إلى الملوك الذين من حوله، ورغّب الصحابة بمساعدته في تبليغ هذا الدين الذي أمره الله تعالى بتبليغه . روى الطبراني في [المعجم الكبير (٢٠/ ٨)] عن الِمسور بن مخرمة، قال: خرج رسول الله ﷺ على

[٦٢] [مصنف ابن أبي شيبة (٨ / ٤٦١) حديث رقم (٣٦٦٢٨)].

أصحابه فقال: «إن الله عز وجل بعثني رحمة للناس كافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه، فأما من قرب مكانه فإنه أجاب وأسلم، وأما من بعد مكانه فكرهه، فشكا عيسى ابن مريم ذلك إلى الله عز وجل، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين وجه إليهم، فقال لهم عيسى ابن مريم عليه السلام: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه، فامضوا فافعلوا » فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نحن يا رسول الله نؤدي عنك، فابعثنا حيث شئت، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب هجَر، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر، وعباد ابني جلندا ملكي عمان، وبعث دحية الكلبي إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي . . . [٥٣] .

فلما وصل الرسل، إلى البلدان التي أرسلوا إليها، أصبح كل امرئ منهم يتكلم بلغة القوم الذي أرسل إليهم، وكأنه واحد منهم، فالذي أرسل إلى فارس أصبح يتكلم بلغة الفرس، والذي أرسل إلى الروم أصبح يتكلم بلغتهم، والذي أرسل إلى المقوقس أصبح يتكلم بلغة القبط، والذي أرسل إلى النجاشي أصبح يتكلم بلغة الحبشة، وهكذا حتى عاد الرسل إلى المدينة .

---

[٥٣] [المعجم الكبير للطبراني (ج ١٤ / ص ٣٩١)].

أُسَيدُ بنُ حُضَير، وعبَّاد بن بِشْر:

رویٰ ابن حبان في [الصحيح (٥/ ٣٧٦، برقم:٢٠٣٠)] عن أنس بن مالك أن أسيد بن حضير، ورجلا آخر من الأنصار، تحدثا عند رسول الله ﷺ ليلة حتىٰ ذهب من الليل ساعة، في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند النبي ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عصاه، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتىٰ مشيا في ضوئها، حتىٰ إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشىٰ كل واحد منهما في ضوئها حتىٰ بلغ أهله» .

قتادة بن النُّعمان :

وجاء في [صحيح ابن خزيمة (٨١:٣، برقم: ١٦٦٠)] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: هاجت السماء ليلة، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة العشاء برقت برقة، فرأىٰ قتادة بن النعمان، فقال: «ما السرىٰ يا قتادة؟»، فقال: علمت يا رسول الله أن شاهد الصلاة الليلة قليل، فأحببت أن أشهدها قال: «فإذا صليت فاثبت حتىٰ أمرَّ بك»، فلما انصرف أعطاه العرجون، فقال: «خذ هذا،فسيضيء لك أمامك عشرا، وخلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فرأيت سواداً في زاوية البيت فاضربه قبل أن تكلم؛ فإنه الشيطان» قال: ففعل، فنحن نحب هذه العراجين لذلك .

عتبة بن فرقـد:

[المعجم الصغير للطبراني (١/ ٧٧)] عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة، ما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب

من صاحبتها، وما يمس عتبة الطيب إلا يمس دهنا يمسح به لحيته، وهو أطيب ريحا منا، وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحا أطيب من ريح عتبة، فقلت له يوما: إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب منا ريحا،فمم ذاك؟ فقال: أخذني الشرا على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرد فتجردت، وقعدت بين يديه وألقيت ثوبي على فرجي، فنفث في يده على ظهري وبطني، فعبق بي هذا الطيب من يومئذ .

الشاهد:

أن عتبة أصابه مرض من أنواع التحسس الجلدي، وهو بقع حمراء تظهر على الجلد، يصاب صاحبها بحكة في جلده، إذا استمر على ذلك قد ينزف منه الدم، زيادة على ما به من ألم، فشكا ذلك للنبي ﷺ فأمره أن يكشف عن مكان الداء، فتعرى عتبة من لباسه ثم جلس ووضع ثوبه على فرجه مخافة أن تكشف عورته، فتقل النبي ﷺ بيده المباركة، ومسح بها جلد عتبة، فبرأ من مرضه على الفور، وأصبح مكان يد النبي ﷺ عطرا، لم يشم الناس أطيب منه، وكانت عند عتبة أربع زوجات فكن يتسابقن بالتجمل له، ومن جملة التجمل التطيب بالعطور، فكن يسرفن بوضع الطيب على أجسامهن، فلما يحضر زوجهن (عتبة) يغلب ريحه على طيبهن فيتعجبن من ذلك، وكان عتبة إذا خرج إلى السوق يشم الناس ريحه من بُعد، وبعد زمن طويل من مروره، فسألوه عن ذلك فقص عليهم ما حصل له، وبقي عتبة مطيبا بطيب رسول الله ﷺ حتى فارق الدنيا رضي الله عنه .

نافـق حنظلـة :

[صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٦، برقم: ٢٧٥٠)] عن حنظلة الأسيدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك،عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عليه عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات .

فهذا سيدنا حنظلة التميمي رضي الله عنه اتهم نفسه بالنفاق، لأنه كان إذا جلس عند النبي ﷺ تعتريه حالة إيمانية فيعاين الجنة والنار وأمور الآخرة، فإذا خرج من عند النبي ﷺ إلى أهله فيباسطهم، ويلاعب أبناءه الصغار، ويعمل ببستان نخيله، يفقد هذا الحال فلا يجده، ثم يذهب مرة أخرى عند النبي ﷺ فيصيبه الحال الأول، ثم يعود إلى بيته وبستانه فيفقده، فأخذ يتفكر في أمره، فمرة وهو جالس على باب بستانه متفكرا بحاله اتهم نفسه بالنفاق، ثم أخذ يبكي على نفسه، فمر به سيدنا أبو

بكر رضي الله عنه، فسأله عن سبب البكاء، فشرح له حالته هذه، فقال أبو بكر: كلنا ذاك الرجل، إن كان هذا نفاقا فأنا كذلك، إذهب بنا إلىٰ الطبيب، فذهبا إلىٰ رسول الله ﷺ فرأىٰ النبي آثار الحزن والبكاء علىٰ حنظلة، فسأله عن سبب بكائه وحزنه فشرح له حاله، فبيّن له عليه الصلاة والسلام أن هذا من مدد النبوة، حيث إنك إذا جالستني يسري ما في باطني إلىٰ ما في باطنك، فيسري معك هذا الحال المكتسب مني لا منك، لأنه كما قيل: من تحقق بحالة لَمْ يخْلُ حاضروه منها، ولو أن هذا الحال يدوم معك، لرأيت الملائكة بأم عينك وهي تصافحك في كل مكان، ثم قال له: إن فاتتك مجالستي فاذكر الله تعالىٰ حتىٰ تعوض ما فاتك من النور الذي تكتسبه مني .

سلني أعطك :

الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٦/ ٢٠٤) عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتىٰ يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ فآتيه بوَضوئه وحاجته، قال: فما أزال أسمعه ﷺ يقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده حتىٰ أمل فأرجع، أو تغلبني عيني فأرقد، فقال لي رسول الله ﷺ يوما لما يرىٰ من خفتي له وخدمتي إياه: «سلني يا ربيعة أعطك» فقلت: يا رسول الله أنظرني أنظر في أمري ثم أعلمك بذلك قال: «فانظر في أمرك» قال: ففكرت في نفسي، فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي

فيها رزقا سيكفيني ويأتيني، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به، فجئته فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟»، فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة قال: «أو غير ذلك؟ »، فقلت: هو ذاك، فقال: «من أمرك بهذا يا ربيعة؟» فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت لي: سلني أعطك، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقا سيأتيني، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي، فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال لي: «إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود» .

فقه الحديث :

أولا: إن النبي ﷺ هو من ربه بالمنزل الذي إذا وعد أحدا بدخول الجنة، أو عتقه من النار، يوفي له بذلك، وهو وعد لا يتخلف أبدا .

الثاني: إن النبي ﷺ بالمكانة الزلفى الذي يستطيع من خلالها أن يقول للناس سلوني ما شئتم، فإني أضمن على ربي أن يعطيكم ما سألتم من خيرات الدنيا والآخرة .

الثالث: جواز الطلب من النبي ﷺ أمورا لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فدخول الجنة هو بيد الله وحده، والعتق من النار هو لله وحده، يعتق من يشاء ويعذب من يشاء، لكن الله تعالى أعطى نبيه هذه المكانة، بحيث أنه من طلب من النبي ﷺ شيئا فكأنه طلب من الله، وهذا مستفاد من قول ربيعة: «وكنت من الله بالمنزل الذي أنت بهِ» .

الرابع: يستفاد أيضا أن طلب الـمدد من النبي ﷺ ليس مقصورا في الدنيا فقط، أو للأمور الدنيوية فقط، فكما أن الصحابة سألوه لدنياهم كذلك سألوه لآخرتهم .

الشاب يشكو حب المعصية :

جاء في[مسند أحمد (٣٦: ٥٤٥، برقم: ٢٢٢١١)] عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: «ادنه» فدنا منه قريبا فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟ » قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعدُ، ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .

حرك النبي ﷺ عنده غريزة الغيرة على الحرمات والأعراض، فالمزني بها إما أن تكون بنتا، أو أختا، أو أما، أو عمة، أو خالة، فسأله إن كان يقبل أن يفعل أحد هذا الأمر بإحدى محارمه هؤلاء ؟ فأجاب أنه لا يقبل بهذا أبدا،فقال: فالناس مثلك، لا يحبون أن يُفعل هذا بمحارمهم، فكيف تقبل أن تفعل شيئا لا ترضاه أنت

لحريمك؟ فكان الأسلوب هذا بمثابة العلاج الوقائي، بإيقاظ جهاز الرقابة الداخلي عند الشاب .

بعد هذا انتقل النبي ﷺ إلى الدرجة الثانية في العلاج وهي: وضع يده على صدر الشاب، حتى يسري المدد النبوي من باطن رسول الله ﷺ إلى قلب الشاب، ثم دعا له بالمغفرة وتطهير القلب من محبة المعصية .

فهذا الأمر الذي عجز عنه الشاب طيلة حياته، وهو محبته للزنا، رغم وجود الإيمان في قلبه، أزاله الله من قلبه إلى أن مات بجلسة واحدة عند النبي ﷺ وبمسحة يد كريمة أذهب الله ما كان يجد .

سلمان الفارسي :

أصله من العراق، وكان عنده علم الكتاب الأول، كان يعرف منه صفة النبي ﷺ فهاجر من تركيا إلى المدينة ليبايع النبي ﷺ على الإسلام، ولكن التجار الذين حملوه إلى المدينة غدروا به، وباعوه رقيقا لأحد أغنياء اليهود، وشغله الرق عن حضور غزوة بدر وأحد . جاء في [مسند أحمد (٣٩/ ١٤٦)] في حديث سلمان الطويل وفيه: شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان» [٥٤] فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها (أغرسها) له بالفقير، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس

---

(٥٤) المكاتبة : هي أن يشتري الرقيق نفسه من سيده على مبلغ من المال، حتى إذا أداه يحرز حريته .

عشرة، والرجل بعشر يعني: الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية، قال لي رسول الله ﷺ : «اذهب يا سلمان ففقّر لها، (أي احفر لها) فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي» قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فو الذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدعيت له، فقال: «خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد .

محل الشاهد:

أن سلمان اشترى حريته من سيده بثلاثمائة نخلة مثمرة، وأربعين أوقية من ذهب، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: أعينوا أخاكم، فتصدقوا عليه بفسائل النخل حتى اجتمع له العدد المطلوب، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يحفر لها فحفر، فغرس عليه الصلاة والسلام النخل بيده الكريمة فأثمرت من عامها .

وبعد أيام جيء بغنائم ومن جملتها ذهب بحجم بيضة الدجاج، فسأل النبي ﷺ عن سلمان فأتي به فأعطاه قطعة الذهب وقال: أعط سيدك، فاستغرب سلمان كيف

توفي هذه القطعة أربعين أوقية وهي لا تساوي أوقية واحدة؟! فقال له عليه الصلاة والسلام: «إن الله سيؤدي عنك» فوزن سلمان منها أربعين أوقية لسيده كاملة لَم ينقص منها شيء، فأحرز سلمان حريته وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وكان يحبه النبي حتى قال فيه: سلمان منا أهل البيت .

قصعة جابـر :

[صحيح البخاري (٥:١٠٨، برقم:٤١٠٢)] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا شديدا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدا، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمةً لنا، وطحنا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سورا، فحي هلا بكم» فقال رسول الله ﷺ : «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدُم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك، وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «ادع خابزةً فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»، وهم ألف، فأقسم

بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو» .

يستغيث بالنبي لزوال سَلعته :

جاء في[المعجم الكبير للطبراني (٧: ٣٠٦، برقم: ٧٢١٥)] عن مخلد بن عقبة بن شرحبيل، عن جده عبد الرحمن، عن أبيه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وَبِكَفِّي سَلْعَةٌ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ السَّلْعَةُ قَدْ آذَتْنِي، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَائِمِ السَّيْفِ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَعَنَانِ الدَّابَّةِ، فَقَالُ: «ادْنُ مِنِّي»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «افْتَحْهَا»، فَفَتَحْتُهَا، فَنَفَثَ فِي كَفِّي وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَىٰ السَّلْعَةِ فَمَا زَالَ يُصْلِحُهَا بِكَفِّهِ حَتَّىٰ رَفَعَ عَنْهَا وَمَا أَدْرِي أَيْنَ أَثَرُهَا .

السلعة: ورم في الجلد ناتج عن جهد زائد، قد يسبب خروج الصديد من الجسم

حنظلة بن حِذْيَم المعالِج :

عن الذيال بن عبيد بن حنظلة قال: سمعت جدي حنظلة يحدث أبي وأعمامه: أن حنيفة جمع بنيه، فذكر الحديث في وصيته وقدومه علىٰ النبي ﷺ ومعه حذيم وحنظلة، وفي آخره قال : بأبي أنت وأمي أنا رجل ذو سن، وهذا ابني حنظلة فسمت عليه، فقال النبي ﷺ : « يا غلام » فأخذ بيده فمسح رأسه وقال له: « بورك فيك» أو قال: « بارك الله فيك » قال راوي الحديث: ورأيت حنظلة يؤتىٰ بالشاة

الوارم ضرعها، والبعير، والإنسان به الورم، فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله، على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب عنه[55] .

الشاهد:

إن حنظلة رضي الله عنه أصبح طبيباً يعالج الناس، والأنعام المرضى على حد سواء، حيث استغل أثر يد رسول الله ﷺ على صلعته يقول: إنه مكان مبارك حيث مسته يد النبي ﷺ فكان يتفل في يد نفسه، ثم يمسحها بصلعته مكان يد النبي ﷺ ثم يقول: بسم الله، على أثر يد رسول الله ﷺ ثم يمسح بيده مكان المرض، فيحصل الشفاء على الفور .

سيف عُكَّاشةُ بن محصن:

عن ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا قال: وعكّاشة بن محصن هو الذي قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب وقال: « قاتل بها يا عكاشة » فلما أخذه من يد رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل بها حتى فتح الله تعالى على رسوله، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل، يعني في قتال أهل الردة وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمى القوي[56] .

---

(55) [رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٢٦٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٤٢٩) جماع أبواب دعاء نبينا].

(56) عكاشة، بتشديد الكاف معناه في اللغة: ذكر العنكبوت، [رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ١٠٦)].

سيف سلمة بن أسلم :

وانكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش يوم بدر، فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال: «اضرب به» فإذا هو سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة [٥٧] .

الشاهد :

هو انقلاب الأعيان بيد النبي ﷺ حيث أمدَ صحابيين انكسرت سيوفهما في معركة بدر، وبقيا بدون سلاح، فأعطى كل واحد منهما عرجونا، (جذع نخلة يابس) فصار العودان سيفين صارمين، من أفضل السيوف، فقاتلا بها حتى انتهت المعركة، ثم بقي السيفان عندهما يقاتلان بهما حتى فارقا الدنيا .

عين قتادة بن النعمان:

عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: « لا » فدعا به فغمز حدقته براحته، فكانت أصح عينيه بعد أن أدركه الكبر [٥٨] .

شهد قتادة بن النعمان رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ بدراً فجاءه سهم غرب أصاب عينه فاقتلعها من مكانها حتى سالت على خده، ولم يمنعه ذلك من القتال، فقاتل طيلة يومه حتى أخرته عينه عن القتال، فاستشار أصحابه بإزالتها، ويبقى

---

(٥٧) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ١٠٨).

(٥٨) المصدر نفسه (٣:١٠٩).

بدون عين، فأخبروا النبي ﷺ فدعا به، وأمسك عينه بيده المباركة، ووضعها مكانها وضغطها بيده ضغطا لطيفا حتى استقرت، فصار يبصر بعينيه وكأنه لم يمسه ضر قط، ولما كبر قتادة وضعف بصره بقيت عينه تلك على حالها من قوة الإبصار .

ذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال: وفد إلى عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان، فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخدِّ عينُه   فرُدَّت بكفِّ المصطفى أحسن الردِّ

فعادت كما كانت لأوَّل أمرِها   فَيا حُسنَ ما عينٍ ويا حُسنَ ما ردِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه:

تلك المكارمُ لا قعبانَ من لبنٍ   شيبت بِماء فعادت بعدُ أبوالا

معاذ بن عمرو بن الجموح:

جاء في [عيون الأثر (١/ ٣٠٣)] عن معاذ بن عمر بن الجموح قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته في شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فو الله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جسمي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي،

وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال القاضي عياض: وزاد ابن وهب في روايته: فجاء يحمل يده، فبصق عليها رسول الله ﷺ فلصقت .

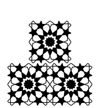
وقد جاء مثل هذا كثير في كتب السير، ولكن يكفي من الغل ما أحاط بالعنق .

أنس بن مالك :

جاء في [مسند أحمد (٢٠: ٢١٠، برقم: ١٢٨٢٥)] عن أنس قال: سألت نبي الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، قال: «أنا فاعل» قلت: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: «أطلبني أول ما تطلبني على الصراط» قلت: فإذا لم ألقك على الصراط؟ قال: «فأنا عند الميزان» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فأنا عند الحوض، لا أخطئ هذه الثلاث مواطن يوم القيامة» .

سواد بن قارب :

جاء في [المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٩٤)] عن سواد بن قارب في قصة إسلامه قال: فأتيت المدينة، فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي : في المسجد، فانتهيت إلى المسجد فعقلت ناقتي، وإذا رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أدنه، أدنه فلم يزل بي حتى صرت بين يديه، فقال: «هات»، فقلت :



أتـاني نَجيـي بعـد هـدء ورقـدة ولَـميك فيها قـد بلـوت بـكاذب
ثـلاث لـيال قـولـه كـل لـيلة أتـاك رسول من لـؤي بـن غالب
فـأشــهد أن الله لا رب غــيره وأنــك مأمـون علـى كـل غائب
وأنــك أدنـى المـرسلين وسـيلة إلى الله يـا ابـن الأكرمين الأطايب
وكن لي شفيعا يـوم لا ذو شفاعة سواك بِمغن عـن سواد بن قـارب

قال : ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بإسلامي فرحا شديدا، حتى رؤي في وجوههم قال : فوثب عمر رضي الله عنه إليه والتزمه قال : قد كنت أحب أن أسمع هذا منك .

الشـاهد:

قوله: «وأنك أدنى المرسلين وسيلة»، فيه تصريح بالتوسل بالنبي ﷺ .وقوله: «فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب»، هو تصريح بالاستغاثة به ﷺ بأن يكون شفيعه في الدنيا والأخرى .

مازنُ بنُ العَضوب :

وروى ابو نعيم في [دلائل النبوة(ص:٧٦)] عن مازن بن العضوب أنه جاء مسلما فأنشد:

إلـيك رسول الله خـبَّت مطيـتي تجوب الفيافي من عُمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الثرى فـيغـفر لي ربـي فـأرجع بـالفلج

والشاهد هو طلب الشفاعة من النبي ﷺ على ألسنة بعض الصحابة، وإجابة النبي عليه الصلاة والسلام لهم .

النبي ﷺ يُعطَى صكاكاً لدخول الجنة :

روى الطبراني عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: « يوضع للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائم بين يدي ربي عز وجل، منتصبا لأمتي مخافة أن يُبعث بي إلى الجنة، وتبقى أمتي بعدي فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول الله عز وجل: يا محمد، ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول : يا رب عجِّلْ حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى إن مالكا خازن النار يقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة » [٥٩] .

وبـي نُـصروا:

روى غير واحد عن خالد بن سعيد عن أبيه عن جده أن بكر بن وائل قدم مكة في الحج فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: إيتهم وأعرض عليهم (أي الإسلام) فأتاهم فعرض عليهم فقالوا: حتى يجئ شيخنا حارثة، فلما جاء قال: إن بيننا وبين الفرس حربا، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا نظرنا فيما تقول، فلما التقوا بذي قار قال لهم شيخهم: ما اسم الرجل الذي دعاكم إلى ما دعاكم إليه ؟ قالوا: محمد، قال: فهو

---

[٥٩] [المعجم الأوسط للطبراني (٧ / ٥) المستدرك (١ / ٩٠)].

شعاركم، فنصروا على الفرس، فقال رسول الله ﷺ : «إنه أول يوم انتصف فيه العرب من الفرس، وبي نصروا» . [التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٦٣)، أسد الغابة ط العلمية (١/ ١٨٠)] .

وقعة ذي قار معركة مشهورة حصلت بين العرب والفرس لما مر على بعثة النبي ﷺ ما يقارب خمس سنوات، وهي أول معركة انتصر فيها العرب على الفرس، ومعلوم ما هي قوة الفرس في ذلك الوقت، وسبب النصر أن حارثة الشيباني كان شيخ القبيلة، وهو والد الصحابي المثنى، فلما كانوا في سوق عكاظ دعاهم النبي ﷺ للإسلام، فأجّلوا إسلامهم حتى يأتي شيخهم، فلما أخبروه سألهم ما اسم الرجل الذي دعاكم؟ قالوا: محمد، فقال: اجعلوا هذا الاسم شعاراً لكم في حربكم مع الفرس، فلما بدأت المعركة بدأوا يقولون: يا محمد يا منصور، يا محمد يا منصور، فنصرهم الله ببركة هذا الاسم الشريف، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام: بي نصروا، أي بسبب استغاثتهم بي نصرهم الله .

تخفيف العذاب عن أبي لهب:

[صحيح البخاري (٩:٧، برقم: ٥١٠١)] بسنده إلى العباس بن عبد المطلب قال: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لَمْ ألق بعدكم، غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة .

ورواه البيهقي بلفظ: قال عروة: ثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب اعتقها، فارضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله في النوم بشر حيبة . فقال له: ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب: لم ألق بعدكم رخاء، غير أني سقيت في هذه مني بعتاقتي ثويبة، وأشار إلى النقيرة التي بين الابهام والتي تليها من الأصابع .

ورواية ابن الأثير، قال عروة : وثويبة مولاة أبي لهب، وكان أعتقها حين بَشَّرته بميلاد رسول الله ﷺ فأرضَعَتْ رسول الله ﷺ فلما مات أبو لهب كافرا، رآه العباس في المنام بعدما أسلمَ، بشرِّ حيبة فقال له: ماذا لقيت؟ قال: لَم ألق خيرا بعدكم، غير أني سُقيت أو قال: أُسْقَى في هذه، يعني: نُقْرَة إِبهاميه كل ليلة اثنين بعتاقتي ثويبة، قال: وقال أبو عيسى: وكانت ثويبة حاضنة رسول الله ﷺ وهي أم أَيْمَن، وأم أُسامة بن زيد، وكانا أخوين لأم، وأبو أيمن رجل من الأنصار [٦٠] .

وفي [الروض الأُنف (٥: ١٢٢)] : وفي صحيح البخاري أن بعض أهله رآه في المنام في شر حيبة، وهي الحالة، فقال : ما لقيت بعدكم يعني: راحة، غير أني سقيت في مثل هذه بعتقي ثويبة، وفي غير البخاري أن الذي رآه من أهله هو أخوه العباس، قال: مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم، ثم رأيته في شر حال، فقال ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين وذلك أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة قد بشرته بمولده فقالت له: أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخيك عبد الله؟ فقل لها: اذهبي فأنت حرة، فنفعه ذلك .

---

(٦٠) [جامع الأصول من أحاديث الرسول (٨ / ٢٥٩)].

قال ابن حجر في[فتح الباري (٩: ١٤٦)] : وقال بن المنير في الحاشية: هنا قضيتان؛

إحداهما: محال، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر .

الثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى، وهذا لا يحيله العقل، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قربة معتبرة، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء، والمتبع في ذلك التوقيف نفيا وإثباتا .

قلت: وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراما لمن وقع من الكافر البر له، ونحو ذلك والله أعلم . (انتهى كلام ابن حجر) . ورواه عبد الرزاق [٦١]وغيره .

قلت: إن الكافر يعذب بكفره، ويعذب بالمعاصي الزائدة على الكفر أيضا، لكن هنا حالة استثنائية، وهي أن عتق أبي لهب للجارية عندما بشرته بميلاد المصطفى ﷺ كافأه الله عليها، ذلك لأن النبي ﷺ رحمة مهداة، رحم الله به العالمين، ومنهم الكافر، فالكفار نالتهم هذه الرحمة في الدنيا بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، بخلاف من كذب الأنبياء من الأقوام السابقين، كقوم سيدنا هود، وسيدنا شعيب،

---

(٦١) [ورواه عبد الرزاق في المصنف (٧ / ٤٧٨)، وأبو عوانة في المسنخرج(٥ / ١٧٠)، وابن كثير في السيرة (١ / ٢٢٤) ، والبرهان الحلبي في إنسان العيون (١ / ١٨٣)، والسيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٣٥١)، ورواه ابن الديبع في حدائق الأنوار (١ / ٣٧)، وابن الجوزي في الوفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ٦٢)].

وسيدنا صالح عليهم الصلاة والسلام، فما دام أن النبي ﷺ رحمة للعالمين، فهي تصيب من تعرض لها من الكفار، وما أحسن ما قيل:

إذا كـان هذا كـافرا جـاء ذمـُّـه وتبت يـداه فـي الجحيم مُـخلدا

أتى أنـه فـي يـوم الاثنين دائمـا يُـخفف عـنه للسرور بأحـمـدا

فما الظـن بالعبد الذي كل عمره بأحـمد مسرور ومات موحـدا

قالوا:

إنهارؤيا لا يُحتج بها، وهي معارضة للقرآن بعدم تخفيف العذاب عن الكافر .

الجواب:

الرؤيا جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة كما ورد في الصحيح، وهي من المبشرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي من الشرع بمكان لا يُجهل، ولا يسعنا إنكارها، وقد قص الله علينا رؤيا ملك مصر، وهو كافر، ورؤيا السجينين الذين كانا في سجنه، وجعل تعبير الرؤيا علما علّمه بعض أنبيائه ومنهم سيدنا يوسف ﷺ، وما جاء في [مستدرك الحاكم (٢٢٠٢) وسنن الدارمي (٢/ ١٣٧٦)] وغيرها قول النبي ﷺ : «من رأىٰ منكم رؤيا فليقصها علي، فأعبرها له» .

لذا بعد هذه النصوص لا يمكننا إغفال الرؤيا من ذاكرة الشريعة الإسلامية، والرائي هو سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وجاءتنا بالسند الصحيح، ولَم نبن عليها حكما شرعيا .

وأما قولهم: هي معارضة للقرآن بعدم تخفيف العذاب عن الكافر، فمقصود الآية هو عدم تخفيفه إذا دخلوا النار يوم القيامة، وأما قبلها فلم يبلغنا نص في ذلك، وأبو لهب في البرزخ لَم يدخل جهنم بعد، وبالتالي ليس في ذلك معارضة للقرآن الكريم

النبي ﷺ يطلب الدعاء من عمر :

[مسنده (١:٣٢٥)] عمر عن النبي ﷺ أنه استأذنه في العمرة فأذن له وقال: «يا أخي، لا تنسنا من دعائك» وقال بعد في المدينة: «يا أخي، أشركنا في دعائك»، فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس، لقوله: «يا أخي» .

فالنبي ﷺ طلب من سيدنا عمر الدعاء له عند البيت الحرام، وسيدنا رسول الله ﷺ غني عن أن يدعو له رجل مثل عمر، ولكنه الأسلوب النبوي بتعليم أمته، أنه مهما وصل أحدهم إلى مرتبة في القرب من الله فهو فقير إلى الزيادة، والطلب هو نوع من الاستغاثة إن لَم تكن استغاثة بعينها .

النبي ﷺ يشفع لرقيق :

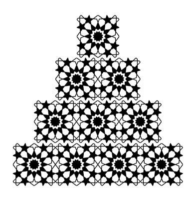
جاء في سنن الدارمي [(٣: ١٤٧٢، برقم: ٢٣٣٨)] عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له «مغيث»، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: يا عباس «ألا تعجب من شدة حب مغيث بريرة، ومن شدة بغض بريرة مغيثا ؟»، فقال لها: «لو راجعتيه فإنه أبو ولدك»، فقالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: «إنما أنا شافع»، قالت: لا حاجة لي فيه .

وهذا الحديث يعلمنا أيضا أن الشفاعة تُشرع من النبي وغير النبي، والشفاعة هي نوع من الاستغاثة، وكل ذلك تكرمة الله لهذه الأمة .

النبي ﷺ يطلب النصرة من القبائل :

ومما ثبت عنه ﷺ أنه عرض نفسه على قبائل العرب لتقدم له الحماية حتى يستطيع نشر رسالة ربه، فقد عرض نفسه على كندة، وكلب فقال لهم: «إن الله قد أحسن اسم أبيكم أي عبدالله»، ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم، وعرض على بني حنيفة، وبني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظفرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك، فقال: الأمر إلى الله يضعه حيث شاء، فقال له: أنقاتل العرب دونك؟ «فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه .[٦٣]

فهذا رسول الله ﷺ يستعين بقبائل العرب حتى يقدموا له الحماية من أجل نشر الدين ولو كانت الاستعانة بغير الله شركا كما، يزعم المانعون من قولهم كما ورد في الحديث: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، لما فعله عليه الصلاة والسلام .



---

[٦٣] [السير الحلبية (٣ / ١٣٦) الروض الأنف (٢ / ٢٣٧) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار (١ / ٨)].

الباب الرابع
مدد النبوة في البرزخ

ثبت لدينا فيما مضىٰ من أدلة تجيز بل ربما تحث علىٰ طلب المَدد والاستغاثة بالنبي ﷺ ولما رأىٰ المنكرون قوة الأدلة التي أوردها المجيزون للاستغاثة، حادوا عن الإذعان لهذه الأدلة تعصباً منهم لمذهبهم، فراحوا يفتشون عما يبطلون به تلك الأدلة، فقالوا: نعم إن ما تقولونه حق، لكن ذلك خاص بحياة النبي ﷺ وجوابنا عن هذا بالنقاط التالية :

الأولى: إن القول بعدم نفع الميت إنما هو فكر يهودي ـ كما أسلفت القول ـ وليس من عقائد المسلمين، وبالتالي فإنه قول لا يحتج به .

الثانية: وردت أخبار في كتب السنة تفيد استغاثة الصحابة بالنبي ﷺ بعد لحوقه بالرفيق الأعلىٰ، وسكوت باقي الصحابة عن هذا الفعل يفيد إجماعهم عليه إجماعا سكوتيا بإقرارهم لهذا الفعل، وإجماع العلماء من أتوا بعد عصر الصحابة إلىٰ يومنا هذا هو إجماع علىٰ مشروعية الاستغاثة بغير الأحياء .

الثالثة: بما أنا أوردنا مشروعية الاستغاثة وجوازها بما صح من الأدلة في كتاب الله تعالىٰ وسنة النبي ﷺ قلنا: إنه باق علىٰ الأصل وهو الجواز، لأنه لَم يأت ناسخ لهذا الحكم، ومن قال بنسخه فليأت بدليله .

الرابعة: بما أن المتصرف في الكون هو الله وحده، فلا فرق إذاً بين حياة المستغاث به أو موته، لأن النبي ﷺ لا يتصرف استقلالا، وإنما يكون بأمر من الله تعالىٰ .

الخامسة: ثبت بما لا يقبل الشك أن النبي ﷺ حي في البرزخ، بل هو في حياة أكمل مما كان عليه في الدنيا، وهو يغيث من استغاث به، ولدينا أدلة على سنوردها في هذا الفصل .

السادسة: إن موت النبي ﷺ لا يعني انتهاء نبوته، ولا يعني نقص قدره عند خالقه، بل هو أقرب إلى الله من ذي قبل لترقيه الدائم، لذا فشفاعته الآن آكد، والاستغاثة به أبلغ .

بعد هذا ؛ سأورد نصوصا ثابتة في السنة تفيد أن النبي ﷺ له تصرف يليق بمقامه في البرزخ، وأن موته لا يعنى انقطاع نفعه وتصرفه، وأن الصحابة استغاثوا به ﷺ بعد لحوقه بالرفيق الأعلى، ومعلوم لدينا أن إجماع الصحابة على أمر يعد تشريعا لنا، لأنهم لا يجتمعون على ضلالة، وهم أعلم الناس بسنة النبي ﷺ :

النبي ﷺ يحضر المعارك :

عن ضمرة بن ثعلبة السلمي أنه أتى النبي ﷺ فقال: ادع لي بالشهادة فقال النبي ﷺ : «اللهم إني أحرم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار»، قال : فكنت أحمل في عظم القوم، فيتراءى لي النبي ﷺ خلفهم، وأحمل عليهم حتى أقف عنده، ثم يتراءى لي عند أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي، قال: فعمّر زمانا من دهره . [٦٧]

---

(٦٧) [مسند الشاميين (٢/ ٢٩٨، برقم: ١٣٧٨)، وفي المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٣٠٨، برقم: ٨١٥٦)]، وإسناده صحيح .

فهذا الحديث ثابت الدلالة على تصرف النبي ﷺ في البرزخ، فهو يحضر معارك المسلمين مع الكفار، فيقف خلف الصف تارة ويدعو لهم بالنصر، ثم يقف أمام الصف تارة أخرى ويدعو لهم بالنصر، ودليل ذلك ما شاهده ضمرة كشفا، حيث كشف الله عن بصيرته حتى رأى روح النبي ﷺ في المعركة، فيحمل أي يقاتل الكفار غير مكترث بهم، حتى يقف بجانبه عليه الصلاة والسلام، فيسلم عليه ويؤمّن على دعائه، ثم يعود إلى موقفه الأول .

ابن عمر يستغيث بالنبي ﷺ :

روي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك، فصاح: **(يا محمداه)** فانتشرت [٦٨] .

عبد الله بن عمر من أشد الصحابة حفاظاً على سنة النبي ﷺ، خدرت رجله يوما، فقيل له : اذكر أحب الناس إليك فاستغث به، ومعلوم ضمنا أنه لا أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ فاستغاث به من أجل زوال خدر رجله، وجاء اللفظ صريحا بالاستغاثة **(يا محمد)**، فحرف الياء هو للنداء، وحرفا الألف والهاء في آخره هما للاستغاثة، وفي هذا دليل على أن الاستغاثة به ﷺ دأب الصحابة، وهم أعلم الناس بالسنة والبدعة .

❊❊❊❊❊

---

[٦٨] [ابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم:١٦٨)] .

يا مُـحَـمَّـــداه :

ذكر غير واحد من المؤرخين عن وقعة اليمامة، وما حصل فيها من الأهوال فقال: ثم برز خالد ودعا إلى البراز، ونادى بشعارهم، وكان شعارهم: «يا محمـداه»، فلم يبرز إليه أحدٌ إلا قتله، ودارت رحى المسلمين [٦٩] .

فلفظ: (**يا محمداه**) هو من ألفاظ الاستغاثة به ﷺ وكان ذلك بعد لحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى .

بلال بن الحارث :

وذكر غير واحد أيضا يصف عام الرمادة، وما حل بالمسلمين من الجوع والقحط وفيه: فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح، فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: «**يا محمـداه**» فأري في المنام أن رسول الله ﷺ أتاه فقال: «أبشر بالحياة، إيت عمر فأقرئه مني السلام، وقل له إني عهدتك وأنت وفيّ العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر» فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً؟ قال: لا، فأدخله وأخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس، وصعد المنبر فقال: نشدتكم الله الذي هداكم، هل رأيتم مني شيئاً تكرهون؟ قالوا: اللهم لا، ولِمِ ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا

---

[٦٩] الكامل في التاريخ (١/ ٤٤٨) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ١٦٠) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٧)].

ولَم يفطن عمر، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء، فاستسق بنا، فنادىٰ في الناس، وخرج معه العباس ماشياً، فخطب وأوجز [70] . . . الخ

الشاهد: عندما طلب أصحاب الحارث من بني مزينة أن يذبح لهم شاة، وذلك في عام اشتد في القحط، أجابهم فذبح، ولما سلخها وجد عظمها أحمر، حيث كانت الشاة تأكل الثرىٰ من الجوع، فحزن بلال علىٰ الماشية الجائعة، فاستغاث بمن نفس الله بها الكرب، وأزال به الهموم، فأتاه ﷺ في النوم . . .الخ

وهذا تعليم للأمة أنها إذا أصيبت بمثل ما أصاب الصحابة أن يفعلوا كفعلهم .

قالوا: إن هذا الأثر ضعيف لا يحتج به، ودليل ذلك أنه لَم يأت بشيء من كتب السنة، وإنما أتىٰ برواية تاريخية .

الجواب : ليس كل ما أتىٰ برواية تاريخية هو كذب، وإلا ترتب علىٰ ذلك إلغاء تاريخ الإسلام بأكمله، وهذا الأثر صحيح بالشواهد والمتابعات، وهي ما أوردنا في هذا الفصل . هذا أولاً، وثانياً: إن الأدلة التي أوردتها من كتاب الله، وصحيح السنة، والاستقراء والحوادث، لم تجعل لمنكر منفذا، وإنما هو تعزيز لما نقلنا فقط.

❋❋❋❋❋

[70] [تاريخ الطبري (٤/ ٩٩)، البداية والنهاية ط إحياء التراث (٧/ ١٠٤)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٥/ ٢٧١)].

وامُـحمَّــداه وإِسـلاماه :

ذكر الواقدي في [فتوح الشام (٢/ ٢٧٦)] واصفا حال الصحابة عند فتحهم الشام وفيه: ثم أمر صاحب الناقوس أن يضربه، فضربه ضربة سمعها أهل الأبواب، ففتح البوابون، وتبادروا للخروج، وخرج اللعين، وسمع المسلمون الصوت فبادروا من أماكنهم مسرعين، يحفز بعضهم بعضا، وهم علىٰ يقظة، وتبادروا كالاسود الضارية المشتاقة إلىٰ فرائسها، فلم تصل القوم إليهم إلا وهم علىٰ حذر، إلا أنهم غير مرتبين، فتجاول القوم في ظلام الليل، وسمع الأمير خالد ذلك منهم فصاح:

واغوثاهوامحمداه وإسلاماه

كيد قومي ورب الكعبة، اللهم انظر إليهم بعينك التي لا تنام، وانصرهم علىٰ عدوهم ولا تسلمهم إلىٰ شر خلقك . . . الخ

الصحابة يستسقون بالنبي ﷺ :

روىٰ ابن أبي شيبة في [المصنف (٧ / ٤٨٣)]عن مالك الدار، وكان خازن عمر علي الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر ، فجا رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا، فأتىٰ النبي ﷺ الرجل في المنام فقال له: «ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مُسقَون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس» فأتىٰ عمر فأخبره، فبكىٰ عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه

الاستغاثة بآثاره ﷺ

لَـم يقتصر الأمر على الاستغاثة بشخص النبي ﷺ بل تعداه إلى الاستغاثة بآثاره الشريفة، كلباس لبسه، ومنبر وقف عليه، ومكان مسته يده، أو إناء شرب منه، وغير ذلك مما سنقف عليه، والذي فعل ذلك هم الصحابة، ووردتنا بالسند الصحيح، لأبين مشروعية الاستغاثة، والتوسل بالنبي ﷺ، حال حياته، وبعد انتقاله، وكذا يالأولياء من أمته أحياة وميتين .

الاستسقاء بقبر النبي ﷺ:

جاء في [سنن الدارمي (ص: ١٢٢)] في باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته:عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطرا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق .[٧١] .

وصارت فتحة النافذة سنة عند أهل المدينة، ثم لما سقف المسجد وتعذر فتحه جعلوا شباكا من جهة المسجد الجنوبية مقابل الحجرة، فإذا أرادوا سقيا المطر فتحوا الشباك فيسقون، ولَم تزل هذه سنة أهل المدينة إلى أن تسلم الوهابية مقاليد الأمور فألغوا ذلك .

---

(٧١) [ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) وفي فتح المنان (١/ ٥٦٥) وفي الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٤٩)وفي تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٤٥)] وغيرهم .

الاستشفاء بجبة النبي ﷺ:

[صحيح مسلم (٣/ ١٦٤١، برقم: ٢٠٦٩)] عن أسماء قالت: هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج، وفرجيها مكفوفين بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها .

الاستشفاء بشعر النبي ﷺ :

[صحيح البخاري (٧/ ١٦٠، برقم: ٥٨٩٦)] عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة - فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيءٌ بعث إليها مِخْضَبَه، فاطلعت في الجلجل، فرأيت شعرات حمرا[٧٣] .

قلت: (قبض) إشارة إلى صغر القدح، (مخضبه) وعاءه، (الجلجل) شيء يتخذ من فضة أو غيرها يشبه الجرس .

والشاهد: أن الصحابة في المدينة كانوا يستشفون بالنبي ﷺ حال حياته، ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى كانوا يستشفون بآثاره ﷺ ومن ذلك شعره المبارك، فكانوا يضعون شعره في إناء ويسكبون عليه الماء، ثم يأمرون المريض بشربه، فيشفى .

---

(٧٣) [صحيح البخاري (١٨ / ٢٥٥)].

قلنسوة خالد :

جاء في [المعجم الكبير للطبراني (٤: ١٠٤، برقم: ٣٨٠٤)] أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها فلم يجدوها، فقال: اطلبوها، فوجدوها فإذا هي قلنسوة خلقة، فقال خالد: «اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة،فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر» [٧٥] .

تقبيل يد مست يد النبي ﷺ:

أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن زيد قال: مررنا بالربذة فقيل لنا: هاهنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتيناه فسلمنا عليه، فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين اليدين رسول الله ﷺ، فأخرج له كفا ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا إليها فقبلناها [٧٦] .

الشرب من قدح النبي ﷺ :

[صحيح البخاري (٩: ١٠٦، برقم: ٧٣٤١)] عن أبي بردة قال: قدمت المدينة فلقيني عبد الله بن سلام، فقال لي: انطلق إلى المنزل، فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلي في مسجد صلى فيه النبي ﷺ، فانطلقت معه، فسقاني سويقا، وأطعمني تمرا، وصليت في مسجده [٧٧] .

---

(٧٥) [المعجم الكبير للطبراني (٤ / ١٤٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٤٩١) المستدرك (٤ / ٤٥٨)].

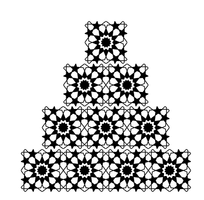
(٧٦) [الأدب المفرد (ص:١٤٤)].

(٧٧) [صحيح البخاري (٢٢ / ٣٢١) كتاب الاعتصام].

قدرة الأولياء على التصرف

لَـم يقتصر المدد والإغاثة علىٰ رسول الله ﷺ فقط، بل تعدىٰ ذلك إلىٰ الأولياء من أمته، وقد صنف غير واحد في هذا الموضوع، وسأذكر بعض ما وردنا في كتب التاريخ، مشفوعة بحوادث شهدتها بعيني، لأقول: إن تصرف الأولياء مستمد من مدد النبوة، وكراماتهم مستمدة من معجزاته، فهم نوابه، وورثة علمه، جاء في [صحيح البخاري (١/ ٢٤)]: «العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»، والوارث له نصيب من مورثه، فلما تواترت لنا معجزات النبي، قلنا بكرامة الولي، ولما علمنا بتصرف النبي، قلنا بتصرف الولي، لأنه علىٰ نهجه، ومن بحر شرعه يغترف .

وسر ذلك مأخوذ من حديث [البخاري (٨/ ١٠٥، رقم:٦٥٠٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» . فالولي حبيب الله، ولما وصل هذه الرتبة صار الله له سمعا وبصراً ويداً ورجلاً، فانمحق العبد وبقي المتصرف هو الله، فأظهر الله علىٰ يديه ما نرىٰ من الخوارق، واستجابة الدعاء، وإغاثة الملهوف .



يا ساريةُ؛ الجبلَ الجبلَ :

روىٰ البيهقي أن عمر بن الخطاب بعث جيشا، وأمَّر عليهم رجلاً يُدعىٰ سارية بن حصن قال: فبينما عمر يخطب، فجعل يصيح وهو علىٰ المنبر: يا ساريةَ بن حصن، الجبلَ الجبلَ، يا ساريةَ بن حصن، الجبل الجبل، ومن استرعىٰ الذئب الغنم فقد ظلم، ثم قال: إن لله جنودا، ولعل بعضهم أن يبلغهم، فقال بعضهم : لقد جُن، إنه لمجنون فقال علي: والله ليخرجن منها كما دخل، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف، وكان يطمئن إليه فقال: لشد ما ألومهم عليك، إنك لتجعل لهم علىٰ نفسك مقالا، بينما أنت تخطب إذا أنت تصيح: يا سارية الجبل أي شيء هذا؟ إنك كنت تصيح بذلك، فقال عمر: إني والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل، يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل، ليلحقوا بالجبل، فلبثوا إلىٰ أن جاء رسول سارية بكتابه: إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم، حتىٰ إذا حضرت الجمعة، ودار حاجب الشمس، سمعنا منادياً ينادي: يا ساريةُ الجبلَ مرتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتىٰ هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له [٦٣] .

وسارية هو: سارية بن حصن بن زنيم الخلجي أمّره سيدنا عمر علىٰ جيش في العراق ليقاتل الفرس، وهذا الأثر يدل علىٰ قدرة الولي علىٰ التصرف لنفع الآخرين، فسيدنا عمر رأىٰ الجيش في منطقة نهاوند في العراق، ولَمْ يكن آنذاك

---

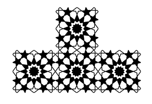
[٦٣] [البداية والنهاية (٧ / ١٤٧) تاريخ المدينة (٢ / ٧٥٤) تاريخ ابن خلدون(٢ / ١٢٣) تاريخ الإسلام (١ / ١١١) أسد الغابة (١ / ٤٠٨)].

فضائيات رأىٰ من خلالها الكمين ألذي نصبه الفرس لجيشه، وكان مشغولا بخطبة الجمعة، فقطع اتصاله بالمسلمين المستمعين له في المسجد النبوي، واتصل بالجبهة مباشرة، وأعطىٰ إرشاداته وأوامره العسكرية، فسمع ساريةُ الصوت، وسمع الجيش معه، وقالوا: والله إن هذا الصوت يشبه صوت عمر، فانحازوا إلىٰ الجبل، ونجوا من المكيدة التي دبرها الأعداء لهم وتحوّل الموقف إلىٰ نصر مبين، وهذا مدد ظاهر من ولي غير نبي لأصحابه حيث كانوا بحاجة للغوث، وهذه كرامة أكرم الله تعالىٰ بها سيدنا عمر رضي الله عنه، وتشبه معجزة الخليل ﷺ عندما بلغ الله صوته

جاء في [تفسير الطبري (٣: ٧٦)] عن السدي قال: لما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بنيان البيت، أمره الله أن ينادي فقال:﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ [الحج:٢٧] . فنادىٰ بين أخشبي مكة: يا أيها الناس! إن الله يأمركم أن تحجوا بيته .

قال: فوقرت في قلب كل مؤمن، فأجابه كل من سمعه من جبل أو شجر أو دابة : لبيك لبيك، فأجابوه بالتلبية: لبيك اللهم لبيك ، وأتاه من أتاه .

قلت: إن النداء وقع من أبينا إبراهيم، وكان البلاغ من الله تعالىٰ، وكذلك سيدنا عمر عندما تقرب إلىٰ الله بالنوافل حتىٰ أحبه الله، فصار له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً، فلما كان الله بصره رأىٰ الجيش من مسيرة شهر، ولما تكلم، سمعه البعيد كما سمعه القريب علىٰ حد سواء، فقد سخر الله له الهواء كما سخر له الماء .



من عمر إلى نيل مصر :

روى غير واحد عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا: يا أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنَّة لا يجري إلا بها قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال: لهم عمرو إن هذا لا يكون أبدا في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب، فكتب له عمر أن قد أصبت بالذي قلت، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، وبعث بطاقة في داخل كتابه، وكتب إلى عمرو : إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد؛ فإن كنت تجري من قِبَلك فلا تجر، وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم [٦٥] .

فالنيل لم يكن يفيض إلا بما وصف، لكنه رضخ لأمر الخليفة، وفاض أكثر مما كان يفيض في السابق، وهذا من أنواع تصرف الولي في ملك الله تعالى، وهذا أيضا مدد

---

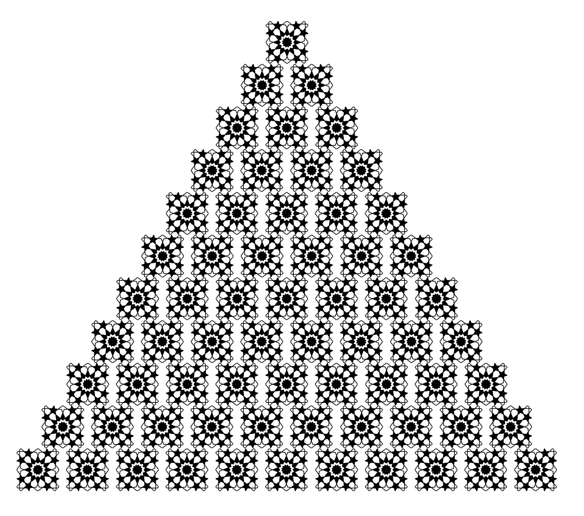
[٦٥] [تاريخ الخلفاء (١ / ٥١)].

أجراه الله على يد الخليفة، حيث استغاث به أهل مصر، فلم تكن الاستغاثة بالخليفة شركا، مع أن الذي يُجري النهر هو الله، ولكن تصرف الولي أو النبي لا يكون استقلالا من دون الله تعالى،ولكن تصرفه يكون بأمر من الله .

يا ريحُ خذيهم :

كان ذلك في وقعة المنصورة، بين المسلمين، والفرنجة، وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكانت النصرة أولا للفرنج، وقويت الريح على المسلمين، فقال الشيخ عز الدين بأعلى صوته مشيرًا بيده إلى الريح : «يا ريح خذيهم» عدة مرار، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها، وكان الفتح، وغرق أكثر الفرنج، وصرخ من المسلمين صارخ: الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد ﷺ رجلا سخر له الريح، وكان ذلك في يوم الأربعاء ثالث المحرم، وأُسر الفرنسيس ملك الفرنج، وحبس مقيدًا بدار .

انظر: [حسن المحاضرة (٢/ ٣٥)، نزهة الأنظار (٢/ ٢٣٨)] .



الباب الخامس
الاستغاثة عند العلماء

روى الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدا، فعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة» [٧٧]وروى عبد بن حميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أمتي لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » [٧٨] وروى الحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا» وقال : «يد الله على الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذ، شذ في النار» [٧٩] .

والمقصود بالأمة هم علماء الأمة في كل عصر، فاجتماع علماء السنة على أمر يعد تشريعا، وهو مصدر من مصادر التشريع، فكيف إذا كان الاجتماع من قبل العلماء السابقين واللاحقين؟! لذلك كانت يد الله على الجماعة ومع الجماعة، وقد عد النبي ﷺ من خالفهم شاذا، وهذا الشاذ هو في النار، ومشروعية الاستغاثة جاءت في الكتاب العزيز، وصريح السنة النبوية، وإجماع العلماء قديما وحديثا، ولَم يشذ عن هذه القاعدة إلا شواذ ممن رأوا رأي الخوارج الذين ذكرناهم في الرد على الشبهة الأولى من شبههم في هذا الكتاب، وسأذكر في هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ أقوال ثلة

---

(٧٧) [المعجم الكبير (١٢: ٤٤٧، برقم:١٣٦٢٣)].

(٧٨) [مسند عبد بن حميد (٣ / ٣٤٤)] .

(٧٩) [المستدرك (١ / ١٦٠)].

من العلماء المتقدمين ومن جاء بعدهم، لأدلل على صحة ما ذهبت إليه من إجماع الأمة على مشروعية الاستغاثة:

الصحابة الكرام رضوان الله عليهم

١. الشيخان :

روى البخاري في [صحيحه (٥:٨١، برقم: ٣٩٩٨)] عن الزبير رضي الله عنه قَال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج، لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنَزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام: فأُخبرت: أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها، قال عروة: «فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها» ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر أخذها، ثم سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل .

العنَزة : بفتح العين والنون، وهي أطول من العصا، وأقصر من الرمح، في أسفلها زج كزج الرمح، يقاتل بها المحارب، ويتوكأ عليها الشيخ الكبير .

والشاهد : أن العنزة طلبها النبي ﷺ من الزبير، فأعطاه إياها، فكان النبي ﷺ يحملها، وتوضع بين يديه في الصلاة سترة له، فلما قبض النبي عليه الصلاة والسلام طلبها أبو بكر من الزبير تبركا بالنبي ﷺ، فلما قبض أبو بكر طلبها عمر تبركا

بصاحبيه، فلما قبض عمر طلبها عثمان للتبرك أيضا، وهكذا علي . وهذا يدل على حرص الخلفاء الراشدين على التبرك بآثار النبي ﷺ .

٢. أبو بكر الصديق :

جاء في [مسند إسحاق بن راهويه (٣/ ٧٢٨)] في حادثة انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى: وجاءَ أبو بكر، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَوضَعَ يَدَيْهِ عَلَى صُدْغَيْهِ وَقَالَ: وَانَبِيَّاهُ، وَاخَلِيلَاهُ، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} ... الخ

الشاهد:

قول الصديق رضي الله عنه: «وَانَبِيَّاهُ، وَاخَلِيلَاهُ»، وهو بلا شك استغاثة به ﷺ .
ومن حرصه أيضا: أنه أوصى أن يدفن بجانب رسول الله ﷺ .

٣. عمر بن الخطاب :

تبركه رضي الله عنه بالعنَزة، وقد مر ذكرها، واستئذانه من السيدة عائشة أن يدفن بجوار صاحبيه، ثم استسقاؤه بالعباس رضي الله عن الجميع .

٤. أصحاب النبي بشكل عام ﷺ :

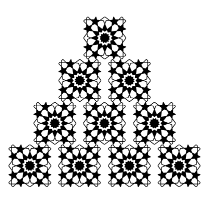
جاء في [صحيح البخاري (٣:١٩٤)] عن عروة بن مسعود واصفاً أصحاب النبي ﷺ قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له .

الشاهد في هذا هو تبرك الصحابة بفضلات النبي ﷺ، يمسحون بها وجوههم وأبدانهم يطلبون الـمدد بالتبرم بآثاره ﷺ .

٥. أبـيُّ بنُ كعب يتبرك بالمنبر :

روى الشافعي في مسنده عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يصلي إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عريشا، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة، فتسمع الناس خطبتك؟ قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات هن اللاتي على المنبر، فلما صُنع المنبر ووُضع موضعَه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ بدا للنبي ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه، فمر إليه فلما جاوز ذلك الجذع الذي كان يخطب إليه خار حتى تصدع وانشق، فنزل النبي ﷺ لما سمع صوت الجذع، فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر، فلما هُدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب رضي الله عنه، فكان عنده في بيته حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتا [٨٠] .

قلت: هُدم المسجد عام (٧) هـ للتوسعة، بعد فتح خيبر، وقد أخذ أُبي بن كعب الجذع الذي بكى لفراق رسول الله ﷺ للتبرك آثار النبي ﷺ .



---

[٨٠] [مسند الشافعي (١/ ٢٦٥)].

أبو محذورة :

روىٰ أبو داود في [سننه (١:١٣٦، برقم: ٥٠١)] بسند صحيح أن أبا محذورة كان لا يجز ناصيته ولا يفرقها، لأن النبي ﷺ مسح عليها .

الشاهد: أن أبا محذورة علّمه النبي ﷺ الأذان حيث كان جميل الصوت، ومسح بيده المباركة علىٰ ناصيته، فلَم يكن أبو محذورة يقص شعر رأسه لأن النبي ﷺ مسه بيده الشريفة، تبركا بأثر يده الشريفة، وجاء في بعض الروايات أن شعره كان يجر علىٰ الأرض .

٦. الإمام مالك بن أنس :

سأل أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الإمام مالكا في مسجد النبي ﷺ: يا أبا عبد الله، أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟ أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولـمَ تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلىٰ الله عز وجل [٨٢] .

[قلت]: أنبه هنا علىٰ نقطتين هما:

الأولىٰ: هي خطأ ما يأمر به القائمون علىٰ حجرة النبي ﷺ الناس من استدبار الحجرة الشريفة عند دعائهم أثناء الزيارة .

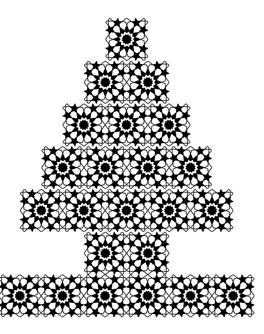
---

[٨٢] [الشفا (٢/٣٥) وأورده الزرقاني في شرح المواهب والسمهودي في خلاصة الوفا في باب الزيارة، وابن حجر الهيتمي في الدر المنظم وقال: جاءت هذه الرواية لنا بالسند الصحيح ليس في إسنادها كذاب ولا وضاع].

الثانية: قول الإمام مالك :وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، يشير للحديث الذي يرويه الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولَمِ أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لَم تضف إلى اسمك إلى أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك [٨٣] .

٦ ــ إمامنا محمد بن إدريس الشافعي:

ذكر ابن حجر: أن الشافعي كان يزور قبر الإمام أبي حنيفة، ويدعو عنده ويتشفع به، وكان يرسل إلى الإمام احمد ليرسل إليه بقميصه، فيغسله ثم يستشفي بمائه، وكان يكثر من زيارة الإمام رجاء بركته [٨٤] .



---

[٨٣] [المستدرك للحاكم (٤ / ٣١) دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١١٨) المعجم الأوسط للطبراني (١٤ / ٢٦٨)].

[٨٤] [الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان (ص:٩٤)].

٧ ــ الإمام أحمد بن حنبل :

أخرج البيهقي في الشعب عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج، منها اثنتين راكبا، وثلاث ماشيا، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيا، فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق .

قال الذهبي: قال عبد الله بن احمد: رأيت أبي (يعني الإمام احمد) يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبّلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به . ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حَب الماء، ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه [٨٥].

روى أبو يعلى في [طبقات الحنابلة (١/ ١٢٥)] عن جَعْفَر الصائغ أنه كان فِي جوار أَحْمَد بن حنبل رجل وكان ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوما إِلَى مجلس أَحْمَد بن حنبل فسلم عليه، فكأن أحمد لم يرده عليه مردا تاما، وانقبض عنه فقال: له يا أبا عبد اللهّ لِـمَ تنقبض عني؟فإني قد انتقلت عما كنت تعهد مني برؤيا رأيتها قَالَ: وأي شيء رأيت؟قَالَ: رأيت النَّبِيّ ﷺ فِي النوم كأنه عَلَى علو من الأرض، وناس كثير أسفل منه جلوس قَالَ: فيقوم رجل إليه فيقول: ادعُ لي، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري قَالَ: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما

---

[٨٥] [شعب الإيمان للبيهقي، (١٠/ ١٤١)، وابن الجوزي في [مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٥٥)، مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٢٤٧)] .

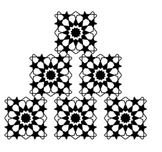
كنت عليه فقال: لي يا فلان، لِـم لا تقوم إلي تسألني أدعو لـك؟ قلت: يا رَسُول اللهَّ، يقطعني الحياء لقبح ما أنا عليه فقال: إن كان الحياء فقم فسلني أدعو لـك، فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي، قَالَ: فقمت، فدعا لي، فانتبهت وقد بغَّض اللهَّ إلي ما كنت عليه . قَالَ: فقال لنا أَبُو عَبْدِ اللهَّ [احمد بن حنبل]: يا جَعْفَر يا فلان، حدِّثوا بهذا واحفظوه فإنه يُنتفع به .

٧. الحافظ الذهبي :

قال الذهبي معلقا علىٰ هذه الرواية: قلت: أين المتنطع المنكر علىٰ أحمد ؟ وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ ويمس الحجرة النبوية فقال: لا أرىٰ بذلك بأسا،أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج، ومن البدع [٨٦] . انتهىٰ

قوله: يا عباد الله دلوني علىٰ الطريق، يشير إلىٰ حديث النبي ﷺ عند الطبراني في [الكبير (١٧: ١١٧،٢٩٠)] : «إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم»، قال الحافظ الطبراني معلقاً : وقد جُرب، أي جربه كثير من الناس، فحصل لهم العون، وهذا نص واضح بالاستغاثة .

وحَبُّ الماء، بفتح الحاء إناء صغير كالجرة أو زير الماء، يوضع فيه الماء للشرب .



---

(٨٦) [سير أعلام النبلاء (٢١٢/١١)] .

٨. حجة الإسلام أبو حامد الغزالي :

قال في الإحياء: القسم الثاني من آداب السفر، وهو أن يسافر لأجل العبادة، إما لحج أو جهاد ... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة والتابعين، وسائر العلماء والأولياء، وكل من يُتبرك بمشاهدته في حياته، يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام «لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند اللهّ .

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات، والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء، وبركة النظر إليهم، فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة، وفيه أيضاً حركة للرغبة في الإقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم وآدابهم، هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم، كيف ومجرد زيارة الإخوان في اللهّ فيه فضل؟ . . .[٨٧] .

٩. الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي :

قال رحمه الله: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلّت نفقتي

---

[٨٧] [إحياء علوم الدين (٢/٢٤٧)].

وبعدت عن بلدي، فكنت أدمن الكتابة ليلا، وأقرأ عليه نهارا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسا أنسخ، وقد تصرّم الليل، فنزل الماء في عيني، فلم أبصر السراج ولا البيت، فبكيت على انقطاعي، وعلى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكأت على جنبي، فنمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فناداني، يا يعقوب بن سفيان، لِمَ أنت بكيت ؟ فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، فتحسرت على ما فاتني من كتب سنتك، وعلى الانقطاع عن بلدي، فقال: أدن مني، فدنوت منه، فأمرّ يده على عينيّ كأنه يقرأ عليهما قال: ثم استيقظت فأبصرت، وأخذت نسخي وقعدت في السراج أكتب [٨٨] .

[قلت]: ولد في مدينة «فسا»، وإليها ينسب، فيقال: (الفسوي)، وهي حاضرة مقاطعة (درابجرد) في إقليم فارس .

١٠. الحافظ احمد بن حجر :

قال الحافظ في [فتح الباري (٢/ ٤٩٥)] معلقاً على حديث استسقاء عمر بالعباس: عن أنس قال : جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتيناك وما لنا بعير يئط، ولا صبي يغط، ثم أنشده شعرا يقول فيه :

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

❁

---

(٨٨) [سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/١٨١)].

فقام يجر رداءه، حتىٰ صعد المنبر فقال: اللهم اسقنا ... الحديث وفيه ثم قال ﷺ: لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله، فقام علي فقال: يا رسول الله، كأنك أردت قوله:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

قال: أجل، وقوله: يئط (بفتح أوله وكسر الهمزة) والأطيط صوت البعير المثقل، والغطيط صوت النائم، كنىٰ بذلك عن شدة الجوع.

ورِوىٰ بن أبي شيبة بإسناد صحيح عن مالك الداري، وكان خازن عمر، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل ... الخ [٨٩].

وللحافظ ابن حجر ديوان شعر ما زال مخطوطا، وعندي منه نسخة مصورة، امتدح النبي ﷺ في كثير من قصائده، وتوسل به، وتذلل علىٰ أعتابه، قال في القصيدة السادسة منه (ص: ٢٤):

فقلت لها خذي جسمي وروحي لطيبةَ حيث مُجتمع الهناءِ
منازلَ طيبةَ الفيحاءِ عَرفا مَنازِهُ طِيبةٍ وملاذُ نائي
فإنْ رَمدَتْ من التسهيدِ عينٌ فإثمِدُ تُربها عينُ الدواء
وإن قَنَطتْ من العصيانِ نفْسٌ فباب مُحمدٍ بابُ الرجاء

---

[٨٩] [فتح الباري (٢/٤٩٥)].

وقال في آخر هذه القصيدة :

نبيَّ الله يا خير البرايا بِجاهك أتقي فصل القضاء
وأرجو يا كريمُ العفوَ عما جنته يداي يا رب الحِباء
فكعب الجود لا يُرضى فداء لنعلك وهو رأسٌ في السخاء
وسن بمدحك ابن زهيرٍ كعب لِمثلي منك جائزة الثناء
فقل يا احمد بن عليٍّ اذهب إلى دار النعيم بلا شقاء
فإن أحزنْ فمدحك لي سروري وإن أقنط فحمدك لي رجائي

والأبيات واضحة الاستغاثة بالنبيﷺ لدخول الجنة، وأن ينجو من أهوال الموقف، ومغفرة الذنوب، وهذه الأمور لا تطلب إلا من الله وحده .

١١. ابن الحاج محمد العبدري :

ابن الحاج من علماء المالكية، قال في [المدخل (١: ٢٥٤)] : فإن كان الميت المـُزار ممن ترجى بركته، فيُتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن تُرجى بركته إلى النبي ﷺ، بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله، والمشرع له فيتوسل به ﷺ وبمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون، ثم يتوسل

بأهل تلك المقابر ـ أعني بالصالحين منهم ـ في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر، ولأموات المسلمين ولأحيائهم، وذريتهم إلى يوم الدين، ولمن غاب عنه من إخوانه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرر في الشرع، وعُلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر، كابرا عن كابر، مشرقا ومغربا، يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى ... والدعاء عند قبور الصالحين، والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين . انتهى

١٢. الإمام أبو عبدالله بن النعمان :

قال الشيخ رحمه الله : تحقق لذوي البصائر والاعتبَارِ، أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار،، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم [٨٤]

١٣. شيخ الإسلام السبكي :

قال السبكي رحمه الله: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه عز وجل، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين،

[٨٤] سَفِينَةِ النَّجَاءِ لأَهْلِ الالْتِجَاءِ باب كَرَامَاتِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجَاءِ .

المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، والتوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال، قبل خلقه، وبعده في مدة حياته، وبعد موته في البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة، والجنة وهو على ثلاثة أنواع:

أن يتوسل به ﷺ بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله به، أو بجاهه أو ببركته، فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح، ولا فرق في المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل، أو الاستغاثة أو التشفع، والداعي بذلك متوسل بالنبي ﷺ لأنه جعله وسيلة لإجابة الدعاء، ومستغيث به عليه الصلاة والسلام لأنه استغاث الله به على ما يقصده، واستشفع به لأنه سال الله بجاهه ... الخ[٨٥] .

قلت: قول السبكي رحمه الله : طالب الحاجة يسأل الله به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح، يشير إلى الأول بحديث الأعمى، والثاني بحديث توسل أبينا آدم، وتخريجه في هذا الباب عند كلام الإمام مالك، والثالث حديث استسقاء الصحابة بقبره الشريف، الذي رواه الدارمي عن أبي الجوزاء انظره في باب الـمدد النبوي في البرزخ .

١٤. الشهاب الرملي :

سئل العلامة الشهاب الرملي عما يقع من العامة، من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، ونحو ذلك فأجاب: إن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة

(٨٥) [شفاء السقام (ص:١٦٠)].

والسلام، والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم، أما الأنبياء فهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون، كما وردت بذلك الأخبار، فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أحياء شوهدوا جهارا نهارا يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم [٨٦] .

١٥. أبو الحس علي بن هارون :

قال أبو عبد الله النعمان في مصباح الظلام (ص:٢٩): أنشدني أبو الحسن علي بن هارون من قصيدة له:

من نور رب العرش كُون نوره والناس في خلق التراب سواء
خرت له شرفات كسرى هيبة وليوم مولده اضمحل بناء
وبه توسل آدم من ذنبه وتشفعت بمقامه حواء
وبه توسل نوح في طوفانه وأجيب حين طغى عليه الماء
وبه دعا إدريس فارتفعت له عند الإجابة رتبة علياء
وبه استجيب دعاء أيوب وقد أودى به عند المصاب بلاء
وبه نجا من بطن حوت يونس لما دعا وتجلت الظلماء
وبه تمكن يوسف في مصر من بعد ما أودت به الضراء
وبه استجارت مريمٌ في حملها فأجار عن لبس وزال عناء

---

(٨٦) [فتاوى الرملي (٤/ ٣٨٢)] .

وبسره عيسى توسل فانثنى   من شأنه بين الورى الإحياء
وبمحمد فاز الكليم بطوره   لما أتاه من الإله نداء
وبه سليمان استجار فعاد عن   كثب إليه الملك كيف يشاء
وبه الخليل نجا من النار التي   اذكى ضرام لهيبَها الاعداء
وبه الذبيح فُدي بذبح جاءه   فله كما شهد الكتاب فداء

١٦. العلامة السيد السمهودي :

قال رحمه الله: إن الاستغاثة والتشفع به وبجاهه وببركته ﷺ من سنن المرسلين، وسير السلف الصالحين، واقعا في كل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، وفي حياته الدنيوية، ومدة البرزخ وعرصات القيامة، وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسلك، عند ذكرهم زيارة النبي ﷺ، أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف، ويتوسل به إلى الله تعالى في غفران الذنوب وقضاء الحوائج، ويستشفع به إلى ربه، ثم ساق رواية أبي الجوزاء، وقصة العتبي المشهورتين، وأطال النفس في ذلك فليراجعه من شاء [٨٧] .

١٧. الحافظ احمد بن القسطلاني :

قال رحمه الله : وأما التوسل به ﷺ بعد موته فهو أكثر من أن يحصى، أو يدرك باستقصاء، ولقد حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء أقمت به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة (٢٨) جمادى الأولى سنة (٨٩٣) هـ بمكة زادها الله شرفا، ومنّ عليّ بالعودة

---

(٨٧) [خلاصة الوفا (ص:١٣٧١)] .

إليها في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم، إذ رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء احمد بن القسطلاني، من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، فلم أجد والله شيئا مما كنت أجده .

ووقع لي أيضا سنة (٨٥٥) هـ في طريق مكة بعد رجوعي من زيارة القبر الشريف لقصد مصر، أن صرعت خادمتنا غزالة الحبشية، واستمرت أياما، فاستشفعت بالنبي ﷺ، فأتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها فقال: هذا أرسله رسول الله ﷺ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بها قُلبة، كأنما نشطت من عقال .

وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة مما قام به الإجماع، وتواترت به الأخبار، في حديث الشفاعة، فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصلة لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف، والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة لنيل المعاني واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل... الخ [٨٨] .

١٨. شهاب الدين الخفاجي :

قال رحمه الله: المراد بالوسيلة السبب، وهو كل ما يوصل إلى إجابة الدعاء، وكنى بذلك عن جميع الناس، أي وهو الشفيع المشفع، المتوسَّل به إلى الله يوم القيامة،

---

(٨٨) [المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٤١٨/٣)].

إشارة لحديث الشفاعة العظمىٰ، وإلىٰ ما ورد من أن الداعي إذا قال: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد اشفع لي عند ربك استجيب له، فاستقبله بقلبك في دعائك، واستشفع به إلىٰ الله فيشفعه الله فيك، ويقبل دعائك [89]

١٩. مُـلاَّ علي القاري :

قال رحمه الله: ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده علىٰ مقعد النبي ﷺ، وهي موضع قعوده من المنبر، ثم وضعها علىٰ وجهه .

وعن العتبي رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا خلا المسجد من عامة الناس حسّوا ومسّوا رمانة المنبر، أي العقدة المشابهة للرمانة التي تلي القبر، والتي كان ﷺ يأخذها بميامنه، وتمسحوا بها طلبا لليمن والبركة، في زيادة الإيمان، وإيقان الإحسان [90] .

٢٠. محمد بن علي الشوكاني :

قال رحمه الله: أما التوسل إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بأحد من خلقه، في مطلب العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنه لا يجوز التوسل إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه، ولعله يشير إلىٰ الحديث الذي رواه النسائي في سننه والترمذي، وصححه ابن ماجة وغيرهم أن أعمىٰ أتىٰ النبي ﷺ ... ثم ذكر الحديث، وللناس في هذا المعنىٰ قولان :

---

(٨٩) [نسيم الرياض بشرح شفاء القاضي عياض (٣/٣٩٨)].

(٩٠) [شرح الشفا بهامش نسيم الرياض (٣/٥١٨)].

أحدهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبينا فتسقينا، فقد ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء، ثم توسل عمر بالعباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم، بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعا وداعيا .

والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته وفي مغيبه بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا، لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ لأمرين:

أحدهما: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

ثانيهما: إن التوسل بأهل الفضل في التحقيق، هو توسل بأعمالهم ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العمل، كما ثبت في الصحيحين عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة[91] .

٢١. **الحافظ ابن كثير** : قال رحمه الله بجواز التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ في عدة مواطن من كتبه، واستشهد ببعض الآثار، دليل قوله واعتقاده بمشروعيته، واستحبابه لكل مسلم، فقد ذكر في:

---

(٩١) [الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص: ١٦)].

❁ تفسيره للآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] .

وذكر قصة العتبي المشهورة مع الأعرابي .

❁ ذكر في البداية والنهاية (١/ ١٨٠) حديث توسل أبينا آدم عليه والسلام وأقره

❁ كما ذكر في البداية والنهاية (١/ ٩١) قصة الرجل الذي جاء زائرا قبر النبي ﷺ بعد موته بثلاثة أيام، ورمى بنفسه على القبر الشريف، وأخذ من ترابه وحثاه على رأسه .

❁ وذكر عند كلامه على حرب المرتدين أن شعار المسلمين كان يوم اليمامة : (وامحمداه) وأن سيدنا خالد بن الوليد عندما هاجم جموعهم صاح: (يا محمداه) .

٢٢. أبو عبد الله القرطبي :

أورد رحمه الله في تفسيره للآية الشريفة رقم (٦٤) من سورة النساء قصة الأعرابي وهي: روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا على رأسه من ترابه وقال: قلتَ يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما نزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيما﴾، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر الشريف أن قد غُفر لك .

قلت: هذه الرواية ذكرها كثير من العلماء [٩٢] في كتبهم مقرين لها، منهم: البيهقي والنسفي وابن قدامة والعز بن جماعة وابن الجوزي والصالحي وأبو اليمن بن عساكر وابن النجار وابن حجر الهيتمي .

امرأة معاصرة تستغيث بالنبي ﷺ:

أخبرني غير واحد، أن امرأة ذات خلق ودين في بلدتهم، أصابها مرض «سرطان الثدي»، وقرر الأطباء بتره بعملية جراحية، كونه عضواً ميئوساً منه، ولكنها ذهبت لأداء مناسك العمرة قبل موعد إجراء العملية، وعند وصولها المدينة المنورة، تشرفت بزيارة النبي ﷺ، فسلمت، وطلبت منه الدعاء بالشفاء مما هي فيه، واستغاثت به بلهجتها العامية، ثم انصرفت، فأتاها النبي ﷺ بالنوم، قالت: فأجرىٰ لي عملية جراحية بيديه الشريفتين، استأصل الجزء التالف من الثدي، ثم خاط الجرح، وبشرها بالشفاء .

فلما استيقظت وجد قميصها ملطخاً بالدماء، وأثر الجرح قد التأم، وذهب منها الألم نهائياً، واستغنت عن إجراء العملية، ولا تزل باقية علىٰ قيد الحياة إلىٰ هذا اليوم (رجب/ ١٤٣٩) هـ .

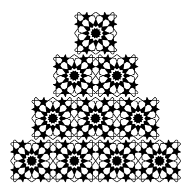


---

[٩٢] [البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٥/٣) رقم (٤١٨٧)، في تفسيره (٢٣٤/١)، وابن قدامة في المغني (٥٥٧/٣)، وابن جماعة في هداية السالك (١٣٨٣/٣)، وابن الجوزي مثير الغرام الساكن (٣٠١/٢)، والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٣٨٠/١٢)، وابن عساكر في إتحاف الزائر (ص:٦٨)، وابن النجار الدرة الثمينة (ص: ٢٢٤)، وابن حجر الهيتمي في تحفة الزوار (ص: ٥٥)].

المصنف يستغيث بالنبي ﷺ :

وأنا الفقير إلىٰ رحمة ربه الكبير، حصل لي شيء من هذا استغثت بالنبي ﷺ، فحصل لي المطلوب، أذكر حادثة واحدة منها: كنت في الصحراء الأردنية، أعمل في سلاح الجو الملكي، وفي صيف عام (١٩٨٢)م، أصبت بتحسس شديد في أنفي، من أثر جفاف الصحراء، وحرارتها الملتهبة، وأصبت بالعطاس المتواصل، حتىٰ تضخمت الجيوب الأنفية بشكل أغلقت مجرىٰ التنفس كلياً، فلم أستطع التنفس إلا من فمي، وبقيت علىٰ ذلك أكثر من أسبوع، فأصابني الضيق الشديد، لا أستطيع النوم، ولا الأكل، ولا الكلام بشكل سهل، وتغيرت رائحة الفم، وعلمت كم هي نعمة الأنف التي منّ الله بها علينا، وبينما أنا مستلق علىٰ السرير وقت القيلولة، متفكر بما أنا فيه، إذ هجمني خاطر الاستغاثة بالنبي ﷺ، فتذكرت حديث الأعمىٰ الذي استغاث به عليه الصلاة والسلام، فقمت من فوري، ورفعت يديَّ داعياً: الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله، اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا سيدي يا رسول الله؛ إني أتوجه بك إلىٰ الله، بشفائي مما أنا فيه، اللهم شفعه فـيَّ، وشفعني في نفسي يا كريم، ثم استلقيت وأنا أرجو من الله الشفاء، فلم يمض لحظات حتىٰ شعرت بانفتاح جزئي في الأنف، ثم تواصل الانفتاح حتىٰ عاد التنفس طبيعيا كما كان. والحمد لله علىٰ ذلك .



الباب السادس

مناقشات وردود

إن المانعين للاستغاثة أخطأوا في فهم بعض الأمور التي قد تشترك بين مقامي الرب والعبد، وظنوا أن نسبتها إلى البشر شرك .

وأخطأوا في فهم التعظيم الذي يصدر من مسلم لنبيه ﷺ، أو لأحد من عباد الله تعالى، يعتقد فيه الولاية، أو عالم أكرمه الله بزيادته بسطة في العلم الشرعي، فظنوا أن ذلك عبادة للمعظَّم .

وأخطأوا في فهم الأحاديث التي تنص على انعدام الشرك في هذه الأمة قبل ظهور الدجال، وقتله على يد المسيح عليه السلام .

وقادهم جهلهم بمعرفة اللغة من بيان وبديع وغيرهما من ضروب البلاغة لمنع كل لفظ يطلق على الله أن يوصف به أحد من البشر .

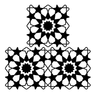
كما قادهم الجهل والتعصب بنفي خصائص اختص الله بها نبيه محمدا ﷺ، فيستعظمونها عليه ويقيسونه بمقياس البشرية المجردة .

ونحن نقول: إن في الأمر سعة، واللغة العربية تتسع لوصف العبد ببعض صفات الربوبية، وينبغي حسن الظن بالمسلمين وتصور الأعمال التي تصدر منهم مخالفة للأعمال التي تصدر من المشركين، وإن تشابهوا في صورة الفعل، لأن الفيصل في ذلك هو النية، لقول النبي ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، أي

أن الأعمال منوطة بنياتها، فكل عمل موقوف على نية فاعله ماذا نوى فيه، والفرق بين العادة والعبادة هو النية، والعادات إذا اقترنت بالنية الصحيحة صارت عبادة، كما أن العبادة إذا خلت من النية انقلبت إلى عادة لا أجر فيها، ألا ترى أن المسلم ليس لديه عمل يؤهله الخلود في الجنة، وأن الكافر ليس لديه عمل يؤهله الخلود في النار، لأن الذي عبد الله خمسين أو ستين عاما ليست لديه الأهلية للمكث في النعيم المقيم خالدا أبدا، كما أن الكافر الذي عصى الله خمسين أو ستين سنة لم يأت ذنبا يؤهله الخلود في العذاب السرمدي خالدا فيه أبدا، ولكن المسلم نوى عبادة الله تعالى وطاعته مهما عمره الله في الدنيا ولو بقي آلاف السنين، كما أن الكافر نوى معصية الله بالكفر ولو بقي آلاف السنين لا يحول عن كفره، فلما كان الأمر هكذا فأهل الجنة خلدتهم نياتهم، وأهل النار خلدتهم نياتهم، فانظر كم هي أهمية النية .

هذا وأسأل الله جلت قدرته أن ينفع به النفع العميم، وأن يوفقني وكل طالب للحق إلى ما فيه رضاه من القول والعمل والاعتقاد والنية، وأن يسلك بنا نهج حبيبه ومصطفاه، وأن يمدني بمدده ومدد أوليائه، ويجمعنا بهم في مستقر رحمته، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الوجود وفيض المدد والجود وعلى آله وأصحابه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين



فهرس لأهم المراجع

١. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ –١٩٨٧ .

٢. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت .

٣. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ .

٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني .

٥. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٧. السنن المأثورة، أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبي، الشافعي المكي .

٨. سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، التميمي .

٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت

١٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١١. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي .

١٢. المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ،عبدالفتاح أبوغدة .

١٣. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي .

١٤. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ – ١٩٧٠،د . محمد مصطفى الأعظمي .

١٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان ب التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، علي بن بلبان علاء الدين الفارسي، مؤسسة الرسالة .

١٦. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار .

١٧. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م .

١٨. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ .

١٩. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني .

٢٠. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي .

٢١. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور ط١٤١٤،١هـ .

٢٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠،مصطفى عبدالقادر عطا .

٢٣. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ط١ .

٢٤. مستخرج أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو عوانة الإسفراينى النيسابوري .

٢٥. الأدب المفرد، المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ – ١٩٨٩،محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٦. المُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبَرَانِي، سليمان بن أحمد الطبراني، المكتب الإسلامي ، دار عمار، بيروت ، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٢٧. موطأ الإمام مالك، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م .

٢٨. تهذيب الآثار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري .

٢٩. دلائل النبوة، الإمام البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م .

٣٠. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق _ بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣١. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

٣٢. شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

٣٣. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي .

٣٤. صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري .

٣٥. مُصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي .

٣٦. مصنف عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت

٣٧. ط١، ١٤٠٣هـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٨. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ .

٣٩. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن الشهير بابن رجب .

٤٠. الدعوات الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت .

٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .

٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .

٤٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري .

٤٤. معالم السنن، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، المطبعة العلمية، حلب، ط١ .

٤٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، مؤسسة القرطبة .

٤٦. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، المكتبة التجارية الكبرىٰ، مصر، ١٣٨٩ – ١٩٦٩ .

٤٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ .

٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت .

٤٩. الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق؛ عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ .

٥٠. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧ .

٥١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين احمد بن القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت .

٥٢. لجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .

٥٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ .

٥٤. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ .

٥٥. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤٢٠،١هـ/ ٢٠٠٠م .

٥٦. نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي الترمذي، دار صادر .

٥٧. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري .

٥٨. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد .

٥٩. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .

٦٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ ه١٩٨٧ م .

٦١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١ .

٦٢. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شهاب الدين احمد بن القسطلاني .

٦٣. جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مكتب التحقيق بدار هجر، ط١ .

٦٤. الكامل لابن عدي .

٦٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد .

٦٦. معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني .

٦٧. تاريخ دمشق، ابن عساكر .

٦٨. الخصائص الكبرىٰ، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت .

٦٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي .

٧٠. جامع الأصول من أحاديث الرسول أبو السعادات ابن الأثير .

٧١. سبل الهدىٰ والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي .

٧٢. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، دار الحاوي، بيروت، ١٩٩٨ .

٧٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ .

٧٤. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠/ ١٩٩٩ .، بيروت .

٧٥. الروض الأنف في شرح غريب السير،عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي .

٧٦. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت .

٧٧. السيرة النبوية، الامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .

٧٨. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ .

٧٩. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الاصبهاني .

٨٠. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ .

٨١. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .

٨٢. شرح المواهب اللدنية للزرقاني .

٨٣. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت .

٨٤. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

٨٥. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف ب ابن الأثير .

٨٦. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي .

٨٧. المدخل لابن الحاج العبدري، دار الحديث، القاهرة .

٨٨. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار السلام، ط١، ١٩٩٠، تحقيق وهبي الغاوجي .

٨٩. الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي .

٩٠. الإنصاف، أبو بكر الباقلاني .

٩١. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بيروت .

٩٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣م .

٩٣. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق؛ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت .

٩٤. المتفق والمفترق للخطيب البغدادي .

٩٥. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني .

٩٦. شرح أم البراهين في العقيدة الأشعرية، احمد بن عيسى الأنصاري .

٩٧. مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة، محمد بن الهاشمي التلمساني، مكتبة الترقي، دمشق، ١٩٦١ .

٩٨. العهد القديم والجديد الموسوم بـ: الكتاب المقدس .

٩٩. الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، وهو ضمن مجموع رسائله: الحاوي للفتاوي .

١٠٠. نسيم الرياض بشرح شفا القاضي عياض، ملا علي القاري .